سعيد رفيع

البربوني

يتجه شرقا

« قصص »



إهداء

إلى ..

أهلي الذين لم يكتب عنهم أحد

المخلص / سعيد

البريونـــى

يتجــه شرقــا



الإشراف العام : محمد الحسينى

اسم الكتـــاب : البربونى يتجه شرقاً
اسـم المـؤلـف : سعيد رفيـع

المراسـلات :
٢١ ش الصناديلى بالجـيـــزة
١٧ ش العطار بالجـيـــزة
ت : ٥٧١٢٦١٨
موبايل : ٠١٠٢٣١٣٥٧٩

الموقع الإلكترونى :
www.dar-nevro.i8.com
البريد الإلكترونى :
dar_nevro@hotmail.com

جمهورية مصر العربية

رقـم الإيـداع : ٢٣٤٥٢ / ٢٠٠٥
تصميم الغلاف : كامل جرافيك
جـمع إلكتـرونى : سوفت أيماج

الطبعة الأولى
٢٠٠٥

الكلب چاك

ومثل أغلب كلاب العربان كان غنام مسحوب الجسم .. مشفوط البطن.. بوزه طويل ورفيع . كبوز الثعلب . ولونه أسود حالك كجوف مغارة الليل .

وغنام لا يكف عن اقتفاء أثر سلمان . خاصة عندما يجوس في الوادى ، يتتبع مواضع الشقوق في التربة ، فينكب عليها ويغرس أصابعه النحيلة بين ثناياها . لتخرج بحبات الفقع . التي يشويها على نار العصلاء ، ثم يلتهمها بلذة في ظل بيت الشعر ، بينما يتكفل غنام بحراسة الأغنام . ويعيد إلى صفوفها الخراف والشياه الشاردة .

في ذلك اليوم لم يكن سلمان يتوقع أن يشهد حدثاً استثنائياً يخلف آثاره العميقة في حياته وحياة الوادى بأكمله .. جماعة من السياح زهقوا من البحر ، فاتجهوا إلى الجبل يرافقهم مرشد سياحى : ولأن المرشد ليس خبيراً بالدروب والشعاب ، فقد ضلوا طريقهم . وكادوا أن يهلكوا لولا أن قادتهم الصدفة إلى حيث ينصب سلمان بيت الشعر .

وكدأب العربان هرع سلمان إلى نجدتهم والاحتفاء بهم ، ودلهم على طريق خرجوا بها سالمين ، ثم نسى كل ما جرى بعد ذلك . ولكن لم تمض بضعة أيام أخرى حتى بوغت ذات صباح برتل من السيارات يخترق الوادى ، جماعة كبيرة من السياح والمرشدين السياحيين ، جاءوا إليه محملين بالهدايا ، ثم استأذنوا في أن يقضوا بعض الوقت في بيت الشعر ، فاحتفى بهم سلمان ، وقدم لهم اللبن الحامض الشاى المعد على نيران العصلاء الهادئة ، وشوى لهم حبات كثيرة من الفقع . تناولوها بلذة كبيرة . ثم

جلس بعضهم في ظل بيت الشعر ، بينما جاس أخرون في الرمال يستطلعون الوادي ، وقبل أن يغادروا في نهاية اليوم دسوا في يده أوراقاً كثيرة من النقد ، وتبع ذلك أن اقترح أحد المرشدين على سلمان أن يخصص مخيماً من بيوت الشعر لإقامة السياح ممن يرغبون في زيارة الوادى خلال الأيام التالية : ولأن سلمان ذكى بالفطرة ، وعلاقته طيبة بأغلب العربان ، فقد هرع إلى جيرانه يطلب المدد ، فاستجاب له كثيرون ، وأمدوه بما يحتاج من بيوت الشعر ، خاصة بعد أن أسهب سلمان في الحديث عن كرم السياح وعن هداياهم ونقودهم التي ينفقونها بلا حساب . وهكذا أقيم المخيم بسرعة متناهية ، ولم يمض وقت طويل بعد ذلك حتى شرعت أفواج السياح في التدفق على الوادى.

دأب السياح في البداية على أن يأتوا معهم بطعامهم وشرابهم . ولكن الأمر تطور فيما بعد ليصبح سلمان مسؤولاً عن إعاشتهم ، خاصة بعد أن أبدى السياح رغبتهم في تناول الوجبات البدوية : كالعصيدة والدشيشة والفقع والخراف المشوية على جزوع العصلاء . ولم يعترض سلمان بالطبع، بل إنه ذبح خرافه كلها لإطعام السياح ، مقابل مبالغ نقدية كبيرة ، مكنته من أن يشترى خرافاً أخرى كثيرة ، كى يستمر في إطعامهم .

ولأنه لم يكن بمقدور سلمان وحده أن يقوم على خدمة هذا العدد الكبير من السياح، فقد عرض أن يستخدم أولاد العربان مقابل رواتب مجزية ، فوافق العربان على الفور ، وانضم إلى سلمان عدد كبير من عيالهم يعاونونه في خدمة السياح وإعداد الطعام لهم ، ثم تبع ذلك أن أسر أحد

المرشدين في أذن سلمان بأن السياح يرغبون في أن تتواجد بضعة فتيات بدويات في المخيم . مجرد تواجد شكلى ليس إلا ، حتى يشعر السياح أنهم في قرية بدوية حقيقية ، فتردد سلمان في البداية ، ثم تملكه الحماس وهرع إلى العربان ليأتوه ببناتهم .

عندما سمع شيوخ العربان ذلك كادوا أن يفتكوا بسلمان ، بل أن الشيخ حمدان بالذات بصق على وجهه وطرده من مجلسه ، ولكن سلمان لم يتراجع ، بل نجح في اتقاء غضب العربان ، بعد أن جمع حوله نفراً من المؤيدين له أخذوا يزينون الأمر للعربان ويروّجون أن تشغيل البنات في مخيم السياح لا يتعارض مع تقاليدهم : لأن البنات سيبقين منقبات ومتحشمات كعادتهن ، ولن يطلب منهن سوى أن يمارسن طقوس حياتهن البدوية العادية أمام السياح فتقوم غزيل مثلاً بطحن الحبوب على الرحى ، وتقوم نوره بخض اللبن فى الصميل ، بينما تتظاهر رابحة بإعداد العصيدة ، وصالحة بحلب الماعز أو صب القهوة من البكرج .. وهكذا ، ثم تبع سلمان ذلك بأن قطع على نفسه عهدا بأن يقي البنات كل ما يخدش الحياء، وأن يخصهن برواتب شهرية تفوق كثيراً ما يتقاضاه الشبان ، فخفت حدة اعتراض العربان ، ثم تلاشى اعتراضهم تماماً بعد أن لوَّح لهم سلمان ببضعة أوراق تقدية .

وكان من الطبيعى أن يكون لغنام نصيب في هذا الرخاء الذي حل بالوادى فقد دأبت السائحات خصوصا على أن يؤثرنه بلحوم الخراف المشوية ، ونشأت صداقة وطيدة بينهن وبين غنام ، حتى أن بعضهن كن

يأتين إلي المخيم لمداعبته واللهو معه ، وعندما لاحظ سلمان ذلك خصص على الفور بدويا للعناية بنظافة غنام ، فتضاعف عدد السائحات المغرمات به ، وأطلقن عليه اسما جديدا أيسر نطقا وهو « چاك » ورغم أن غنام لم يستلطف الاسم الجديد في البداية ، إلا أنه سرعان ما اعتاد عليه ، وشرع يهز ذيله عند سماعه .

وهكذا حلت الحياة الرغدة بالوادى بأكمله ، وشيَّد سلمان له بيتاً كبيراً من الأسمنت أسفل كرم النخيل . وزوده بمولد كهرباء ، ثم لم يلبث أن حذا حذوه بقية العربان . فأقاموا لهم بيوتاً جديدة من الأسمنت ، وطويت بيوت الشعر ، ولم يبق منها سوى ذلك المخيم المخصص للسياح .

ومع ذلك لم يكن الأمر يخلو أحياناً من بعض المنغصات ، منها خشية بعض العربان أن تُفسد السائحات عيالهم أو أن يخدش المخمورون حياء بناتهم ، ولكن هذه المنغصات لم تلبث أن تلاشت تماماً ، بعد أن تعود العربان على طبائع السياح وبعد أن تعلمت البنات كيف يروِّضْن المخمورين ويتلاشين مضايقاتهم قدر الإمكان .

أمر واحد فقط ظل يعكر مزاج سلمان . وهو أن غنام سمن وترهل ، وأصبح أكثر ليونه وميوعة ، ثم انشغل عن واجب الحراسة باللهو مع السائحات ، أكثر من ذلك أنه نسى اسمه القديم تماماً ، ولم يعد يلبى نداء سلمان إلا إذا دعاه باسمه الجديد « چاك » .

التمثـــال

أول من أثار الموضوع هو محروس سائق المحافظ ، كان يجلس كعادته مع عبد الحليم موظف السويتش حين اتصل به محسن بيه مدير مكتب المحافظ ليخبره أن المحافظ سيغادر مكتبه ، يحدث هذا دائماً قبل نزول المحافظ من مكتبه بربع ساعة . يكون محروس خلالها قد قام بتسخين السيارة ، ووقف بها أمام الباب الرئيسى لديوان عام المحافظ في انتظار نزول المحافظ .

ولكن في هذا اليوم بالذات ، وأثناء وقوف محروس بسيارته أمام الباب ، التفت محروس إلى التمثال الذي يقف أمام المبنى ، وخيل إليه أن التمثال ليس هو التمثال الذي اعتاد أن يراه طوال عشرين عاماً ، هي مدة خدمته كسائق لهذا المحافظ وعدة محافظين سابقين .

عندما أعاد محروس النظر إلي التمثال لم يصدق عينيه ، فعركهما وعاود التطلع من جديد ، فطوال عشرين عاماً كان رأس التمثال يبدو منحرفاً بدرجة ملحوظة نحو اليسار ، ولكن ما يراه محروس أمامه الآن هو أن رأس التمثال قد انحرفت إلى اليمين .

لم يفصح محروس إلى أي شخص بخصوص هذه الملاحظة التي يبدو أن أحداً غيره لم يعرها انتباهاً ، ولكنه في نفس الوقت ، ظل يتساءل كيف يمكن لتمثال نَحت من الجرانيت الأحمر ، أن يحرك رقبته يمنه ويسره كما يفعل البشر ، ولكن لأن محروس كان متأكداً من أن التمثال كان قبل ذلك يتطلع صوب اليسار ، فقد اضطر في النهاية أن يسر بذلك لعرفان الحارس الشخصى للمحافظ ،

وقف عرفان طويلاً أمام التمثال . وعرك عينيه كما فعل محروس ، ثم نظر إلى محروس ملياً وكأنه يشك في قواه العقلية ، وأجاب قائلاً إنه ليس متأكداً ما إذا كان التمثال في الأصل يلتفت نحو اليمين أم اليسار . وما حدث مع عرفان تكرر مع عبد الحليم موظف السويتش ، ولكن ما قاله عبد الحليم كان مختلفاً عما قاله عرفان ، ذلك أن عبد الحليم ، بعد أن وقف طويلاً أمام التمثال ، أعلن أن التمثال بالفعل كان يتوجه من قبل نحو اليسار ، وأن ما يراه بوضوح الآن هو أن رأس التمثال ورقبته قد انحرفتا نحو اليمين ، وأن هناك احتمالاً لأن يكون التمثال قد سكنه جنى ، فالجان وحدهم هم الذين يمكن أن يأتوا بمثل هذه الخوارق .

وبمجرد أن وجد محروس أن هناك من يتفق معه في الرأى ، فكر في أن يخبر المحافظ شخصياً بالأمر ، ولم يطل تفكيره كثيراً ، فما أن استقل المحافظ السيارة ذات صباح حتى بادره محروس قائلاً :

- بعد إذن سعادة يا باشا

- فيه إيه يا محروس ؟

- كل خير يا سعادة الباشا .

- خلصنى يا محروس فيه إيه ؟

- التمثال يا باشا .

- تمثال إيه ؟

- التمثال اللى قدام المحافظة .

- ماله ؟

- فيه حاجة غريبة حصلت .

- حصل أيه ؟

- التمثال يا باشا طول عمره باصص شمال ، لكن دلوقت باصص يمين .

- إنت بتخرف بتقول أيه يا محروس ؟

- زى ما بقول سعادتك يا باشا .. التمثال من يوم ما اتعمل وهو باصص شمال ، لكن من قيمة كام يوم لاحظت إن التمثال باصص يمين .

- إنت شارب حاجة يا محروس ؟

- أستغفر الله يا باشا ...لكن هىَّ دى الحقيقة .

ورغم أن المحافظ لم يبد اهتماماً كبيرا بما قاله محروس في البداية ،، إلا أنه وجد نفسه في النهاية يفكر في الموضوع بطريقة أكثر جدية ، فماذا لو كان ما قاله محروس صحيحاً ؟ فمحروس كما يعلم المحافظ جيداً رجل عاقل ومتدين وسمعته كاللبن الحليب ، ومع أن المحافظ حاول أن يطرد هذه الفكرة من ذهنه ، إلا أن الفكرة أخذت تنمو وتسيطر عليه شيئاً فشيئاً ، حتي وجد نفسه ذات صباح يستدعى مدير مكتبه :

- إنت مشغول بإيه دلوقت يا محسن ؟

ـ بجهَّز ملف لجنة السيول ياباشا .

ـ طيب سيب اللى في إيدك دلوقت وانزل بص على التمثال .

ـ تمثال إيه يا باشا ؟

ـ التمثال اللى قدام المحافظة .

ـ هو فيه حاجة يا باشا ؟

ـ بس انزل بص على التمثال واطلع ثانى

لم تمض أكثر من عشر دقائق حتى كان محسن بيه قد قام بالمهمة ثم عاد إلى مكتب المحافظ .

ـ هاه .. شفت التمثال ؟

ـ شفته يا باشا .

ـ مالاحظتش حاجة ؟

ـ حاجة زى إيه يا باشا ؟

ـ أي حاجة مش طبيعية .

ـ مفيش حاجة يا باشا .

ـ إزاى يا محسن مفيش حاجة .. إنت مش شايف إن التمثال وسخ

ـ هو فعلاً مغبر شوية .

- مغبر شوية ؟! ده مغبر قوى وزى الزفت

- أنا حخلى العمال ينضفوه يا باشا

- خلى العمال ينضفوه كويس .. ده رمز للمحافظة ولازم يكون نضيف دايماً

وقبل أن يغادر محسن بيه مكتب المحافظ بادره قائلاً

- علي فكرة يا محسن .. شوف لى سواق تانى غير محروس .

- هو غلط في حاجة يا أفندم ؟

- الراجل باين عليه بيتعاطى حاجة اليومين دول .

لم يكتف محسن بيه بإعطاء تعليماته للعمال بتنظيف التمثال بل قام أيضاً بتوقيع جزاءات صارمة عليهم بسبب اهمالهم الجسيم في تنظيفه من الغبار ولكن قبل أن يبادر محسن بيه بتنفيذ تعليمات المحافظ بندب سائق آخر يحل محل محروس ، كان المحافظ شخصياً قد عاود الإتصال به ليطلب الإبقاء على محروس ، ولم يكن ذلك إلا لأن محروس كان قد نجح في أن يقدم للمحافظ دليل صدقه وبراءته من تعاطى ما يذهب العقل ، وكان الدليل الذي قدمه محروس هو صورة قديمة لمبنى ديوان عام المحافظ ، يظهر فيها تمثال الصياد واقفاً أمام المبنى وهو يتلفت صوب اليسار .

راح المحافظ يمعن النظر في الصورة دون أن يصدق ما يراه ، ثم اتصل على

الفور بالأرشيف يطلب جميع الصور التى التقطت لمبنى المحافظة والتمثال ، وكانت نتيجة الفحص المبدئى للصور مثيرة لمزيد من البلبلة ، ذلك أن التمثال كان يبدو في بعض الصور وهو يلتفت نحو اليمين ،مما زاد من حيرة المحافظ ، وحتى يتخلص من حيرته أمر بتشكيل لجنة فنية تضم متخصصين في التصوير والنحت لفحص التمثال والصور لكشف هذا اللغز المحير .

وكان من الطبيعى أن يتسرب الخبر إلى حميع موظفى الديوان العام ، وأصبح التمثال موضوعاً لثرثرة الموظفين في مكاتبهم ، وانشغلوا جميعاً في محاولة الكشف عن لغز التمثال ، وفي التساؤل عما إذا كان التمثال في الأصل يلتفت نحو اليمين ثم استدار نحو اليسار ، أم أنه كان يلتفت نحو اليسار ثم استدار بقدرة قادر نحو اليمين .

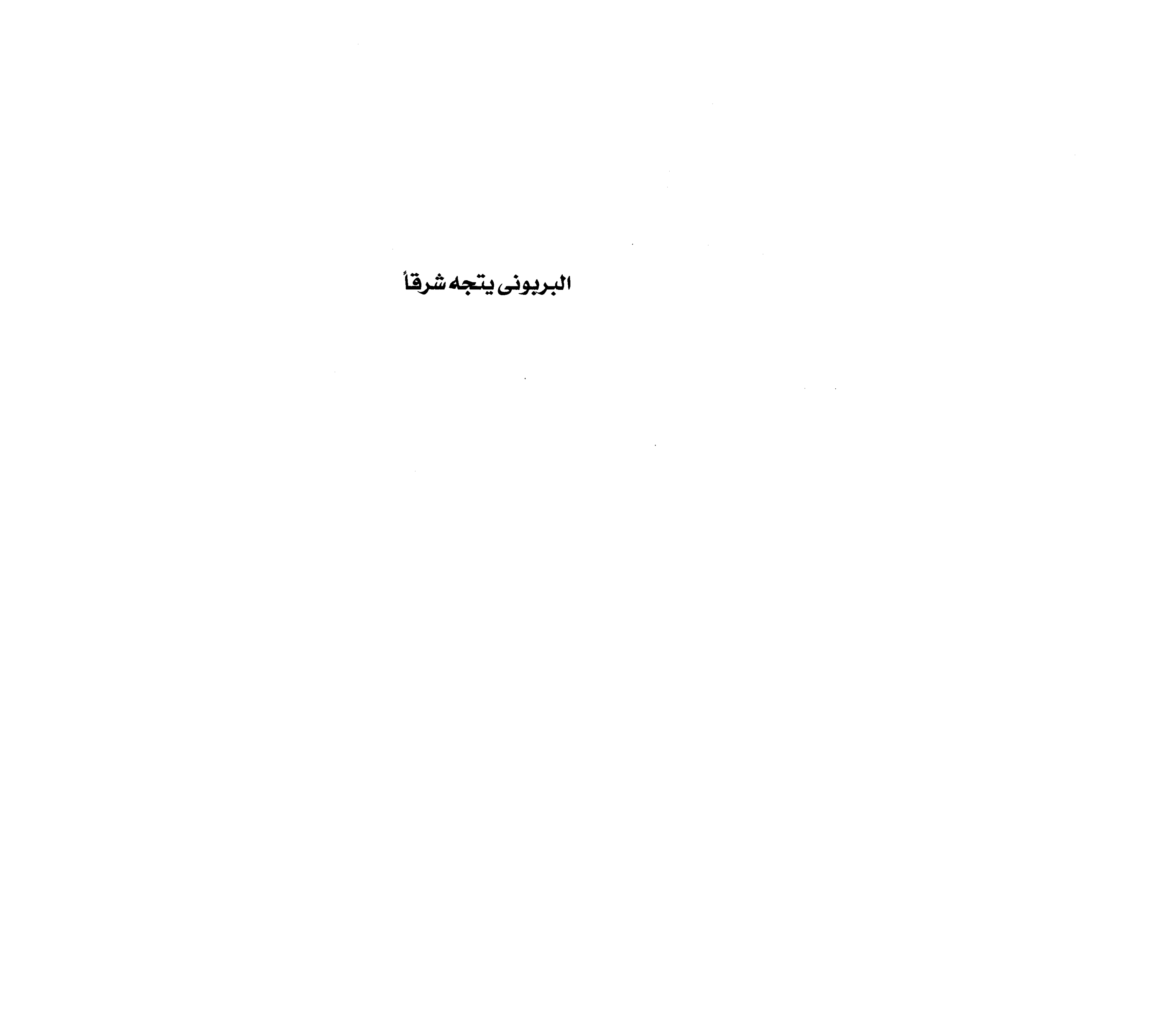
ولم يقف الأمر عند هذا الحد إذ سرعان ما انتشر الخبر في المدينة بأسرها ، وتدفقت الجموع إلي مبنى المحافظة لرؤية التمثال العجيب الذي يلتفت يمنه ويسرةكما يفعل البشر ، وانقسم الناس إلي فريقين ، فريق يرى ضرورة التخلص من التمثال بعد أن تلبسته الجن و فريق آخر يرى أن يتم الإبقاء على التمثال باعتباره معجزة فنية يفاخرون بها المحافظات الأخرى ، بشرط أن يتم أولاً طرد الجن من التمثال عن طريق أحد المشايخ المشهود لهم بالكفاءةفي هذا المضمار ، ومما زاد من تعقيد المشكلة أن النحات الذي قام بنحت التمثال ، على شكل صياد يحمل شبكة على كتفه ، ليكون رمزاً لهذه المحافظة الساحلية التي يعمل أغلب سكانها بالصيد ـ كان قد توفى

منذ سنوات : لذلك فإن اللجنة الفنية التي شكلها المحافظ لم تستطع أن تقطع بإجابة مؤكدة ، واكتفت بأن رفعت تقريراً للمحافظ تقول فيه أنه بعد فحص التمثال وجميع الصور التي التقت له منذ إقامته ، فإن اللجنة ترى أن التمثال كان في الأصل يلتفت صوب اليسار ، ثم لأسباب غير معروفة انحرفت رأسه ورقبته صوب اليمين ، وحيث أن اللجنة لم تجد تفسيراً علمياً لهذه الظاهرة الغريبة ، فإنها تعتقد أن السبب الوحيد الممكن بعد ذلك قد يرجع لقوى غيبية غير منظورة ، ومن ثم فإن اللجة لا تجد مفراً من تبني وجهة النظر القائلة بأن جنياً وربما عفريتاً قد تلبَّس التمثال ، ومع ذلك فإنها توصى بضرورة الإبقاء علي التمثال مع الإستعانة بأحد المشايخ المتخصصين لطرد الجان والعفاريت ، كما توصى أن يتم ، من باب الاحتياط ، إطلاق البخور داخل مبنى المحافظة كل صباح لمنع الجان من الانتقال من التمثال إلى غرف المبنى ، مع التركيز على غرف ومكاتب كبار المسؤولين بالمحافظة ، بحيث يتم تبخيرها مرة في الصباح ومرة في المساء .

ورغم أن المحافظ وافق على توصيات اللجنة على الفور ، بل وأصدر قراراً عاجلاً بتشكيل وفد يجوب المحافظات لاختيار أحد المشايخ المشهود لهم بالخبرة في طرد الجن والعفاريت ، بسبب افتقار المشايخ المحليين للخبرة في هذا المجال ، فإن كل هذه الجهود لم تثمر شيئاً ، وذلك لأن الشيخ الذي استقدمته المحافظة كان قد وصل متأخراً في المساء ، ولكنه قبل أن يتمكن صباح اليوم التالي من طرد الجان من التمثال كانت السيول قد اجتاحت

المدينة ، وألحقت بها أضراراً فادحة ، وكان أكثر المتضررين منها هم الصيادون أنفسهم ، إذ اقتلعت بيوتهم من جذورها ، بل إن السيول دمرت مصنع تعليب الأسماك بالكامل ، كما اغرقت وابور المياه ومحطة الكهرباء، وألحقت أضرار بالغة بالمستشفى المركزى والمخبز الآلى ومبنى المحافظة نفسه .

ولكن تمثال الصياد نفسه لم تلحق به أي أضرار ، إذ ظل واقفاً على حاله أمام مبنى المحافظ ، ولكن بعد أن اتخذ وضعاً جديدا ثابتاً منذ ذلك الحين ، فلم يعد يلتفت يميناً ولا يساراً ، بل انحرفت رأسه بدرجة ملحوظة صوب الأرض ، وكأنما يتطلع إلى قدميه.



البريوني يتجه شرقاً

لم يكن يشغله سوى رغبته في التعرف على موقع الممر ، ولكن المعالم القديمة اندثرت تماماً ، إذ كان هناك شاطئ رملي تتناثر في أرجائه جحور الكابوريا وبقايا أعشاب وقناديل بحرية قذفت بها الأمواج ، وكانت عشة البوص تقع في مواجهة صخرة مرجانية تخترق حافتها المدببة الماءعلى بعد رمية حجر من الشاطئ وكانت المسافة المحصورة بين حافة الصخرة ورمال الشاطئ تشكل عرض الممر .

راح يتطلع في جميع الاتجاهات ، رجال ونساء بلباس البحر ، بعضهم يسترخي على مقاعد من الخيزران ، والبعض الأخر يتمدد فوق كنبات خضراء صفت على طول الشاطئ ، أما على الجانبين فقد قامت مبان وشاليهات شيدت من الأسمنت والحجر الفرعونى الأبيض ، وامامه مباشرة لسان خرسانى يشق البحر لمسافة بعيدة ، وعلى جانبى اللسان ترسو قوارب ودراجات مائية ويخوت من مختلف الأحجام والألوان ، حاول من جديد أن يتعرف على موقع الممر ، ولكنه أدرك عبث المحاولة ، فالصخرة المرجانية اقتلعت من جذورها على ما يبدو ، إذ لم تقم هذه القرية إلا بعد أن ردمت جزءاً كبيراً من البحر ، ثم عادت لتصطنع بالجرافات شاطئاً جديداً عميقاً .

عندما تهل طلائع البربونى كان أول من يشعر بها ، في بادئ الأمر يختلج سطح الماء اختلاجة خفيفه ، ثم تتعكر المياة الصافية ، بفعل احتكاك زعانف البربونى بالرمال الناعمة ، كان يحدث هذا دائماً في الساعات الأولى من شهر يونيو من كل عام ، حين تبلغ شمس الغردقة تمام عزها

وزهوها ، وتستبدل جبال جزيرةشدوان رداءها الشتوى الباهت بثوب أرجوانى تتقي به وهج الشمس ، وبعد أول قفزة لسمكة بربونى فوق سطح الماء كان يولى وجهه غرباً ليزف البشرى لبيوت الرشندية ، ومع أول خيوط الفجر التالى يكون كل صيادى الرشندية قد انضموا إليه ، وأغلقوا الممر بشباكهم في وجه البربونى ، أسراب كثيرة متعاقبة ، تأتى من الجنوب في نفس الموعد من كل عام ، وفي سيرها الحثيث تصطدم بحافة جزيرة جفتون الجنوبية ، فتعرج يساراً ثم تواصل سيرها بمحاذاة الساحل ، حتى تبلغ الممر لتعبره في طريقها صوب الشمال .

يستمر تدفق الأسراب حتى نهاية شهر أغسطس ، ثلاثة أشهر كاملة يدخر خلالها من بيع البربونى مبلغاً من المال يكفيه لبضعة شهور لاحقة ، وفي نهاية الموسم تكون براميله الخشبية قد طفحت بفسيخ البربونى الذي يتقوت من بيعه بقية أشهر العام ، حياة سهلة لم تكن تتطلب جهداً يذكر ، مجرد نصب الشباك في الممر على بعد خطوت من الشاطئ فيرزقه الله بالصيد الوفير .

كانت أحلى ساعاته هي تلك التي يقضيها جالساً في ظل عشته بعد العصر ، يرتق الشباك ، وينظفها من بقايا قناديل البحر وأعشاب القيصار ، ثم يتوسد الشباك ويتمدد وهو ينصت لصوت الأمواج وهي تتكسر فوق الرمال ، حينئذ كانت تتملكه في الغالب إغفاءة قصيرة . يستيقظ منها عندما تشتد حركة الأمواج ، فتثير رذاذاً منعشاً . سرعان ما يتطاير في

الهواء ليحط على وجهه ، أو عندما تقترب الكابوريا منه أكثر من الازم لتناوش أصابع قدميه ، فيروعها بأن يلقى عليها حفنة من الرمل أو بقايا قنديل بحر ، فتجرى الكابوريا بسرعة مذهلة صوب البحر أو صوب جحورها أيهما أقرب .

هكذا كانت تمضى به الأيام طوال خمسين عاماً ، حتى استيقظ ذات صباح على من يقتحم عليه العشة ليخبره بأن قرية سياحة كبيرة ستقام على هذه البقعة وأن عليه أن يبحث لنفسه عن مكان أخر .. « هذه البقعة بالذات » . « نعم هذه البقعة بالذات » .. لم يكن ذلك عصياً على فهمه ولكن مالم يفهمه ساعتها أو مالم يشأ أن يفهمه هو أن يجد لنفسه مكاناً آخر بعيداً عن البحر ، ولكنه اضطر أن يستوعب ذلك فيما بعد أن لاحظ أنه كلما حاول أن ينصب عشته في بقعة ، هرع إليه من يزجره ويطلب منه أن يبحث لنفسه عن مكان آخر ، لأن قرية سياحية ستشيد في تلك البقعة هكذا أخذ يتنقل على الساحل من بقعة إلى أخرى ، ثم لم يمض وقت طويل بعد ذلك حتى كانت الأرض قد انشقت عن كتل خراسانية أخذت تصطف متلاصقة على الشاطئ لتحجب عنه البحر ، ولتقطع الطريق في وجه البربوني ، الذي قيل إنه هجر ساحل الغردقة واتجه شرقاً .

ومع هجرة البربوني إلي الشرق هجر الصيادون شباكهم ليعملوا بحارة على متن اليخوت السياحية الفاخرة ، ولكن لأن صياداً عجوزاً مثله ما كان ليغرى أحداً باستخدامه أو توظيفه ، فقد وجد نفسه في النهاية يتعيش على

صدقات الرشندية ، الذين لم يتكفلوا بإعاشته فقط بل أقاموا له بينهم عشة بديلة كان أكثر ما يثير ضجره منها أنها أبعد ما تكون عن البحر .

حاول كثيراً جداً بعد ذلك أن يخترق هذه القرية السياحية بالذات التي تقع في مواجهة الممر ، ولكن كان هناك دائماً من يحول دون ذلك ، شباب يرتدون قمصان وسراويل زرقاء وعلى أكتافهم شارات دأبوا على اعتراضه ، يسألونه أولاً عن وجهته ، فلما يجيبهم بأنه لا يريد سوى أن ير البحر ، كانوا يصدمونه بكلمة « ممنوع » فإذا تشبث برغبته قام أحدهم بدفعه أو شده من ثوبه إلى قارعة الطريق ، ولكن اليوم لم يلحظه أحد وهو ينسل إلى القرية بثوبه الباهت وبقايا حذاء في قدميه ، وها هو يقف أخيراً على الساحل مباشرة ، يتنفس نسيم البحر ، ويعرك رأسه بحثاً عن معالم قديمة لا زالت تسكن ذاكرته .

وكان من الطبيعي أن شخصاً في مثل هيئته لابد وأن يلفت الانتباه ، إذ حاصرته عشرات الأعين وهو يمرق بين رواد القريةفي اتجاه البحر ، ولكنه لم يأبه كثيراً لذلك ، إذ كان يعرف طريقه جيداً ، تماما مثل سلحفاة بحرية صغيرة خرجت تواً من البيضة ، وحتى بعد أن تذكر الشبان ذوى القمصان والسراويل الزرق ، وخشى أن يفطنوا إليه ويخرجوه عنوة ، فإنه لم يتراجع، بل واصل سيره لا يلوى على شيء حتى بلغ اللسان الخرسانى ، ثم تابع السير إلى أقصى نقطة منه حيث المياه العميقة .

عندما بلغ غايته وألقى بنظرة مستكشفة في الماء ، لم ير سوى بقايا

زجاجات وعلب فارغة تلصق بالقاع .. انحنى قليلاً وأخذ يمعن النظر بحثاً عن أي أثر للحياة .. ثم اعتدل ، ورفع عينيه إلى السطح ، وطاف بهما في شكل نصف دائرة ولكن دون جدوى .. حانت منه التفاتة إلى الخلف .. وقعت عيناه مباشرة على شابين من ذوى القمصان الزرقاء يسيران حثيثاً في اتجاهه .. لم يكد يلحظهما حتى سرت رجفة خفيفة في جسده ، وتبع الرجفة تنميل في فروة رأسه ، وامتد التنميل ليغزو جلده كله وعندما حاول أن يهرش ، بوغت بخشونه مفاجئة في الجلد ، إذ انبلجت من بين ثناياه قشور وردية رقيقة ، وانتشرت القشور سريعاً حتى غطت جسده بالكامل ، ثم شعر برأسه يتبطط وبعينه تنتقلان من مقدمة رأسه إلي جانبيها ، وأخيراً صكت اذنيه طرقعة استحالت قدماه على أثرها ذيلاً كبيراً ، وانشق جسمه عن زعنفة بطول ظهره .

أدرك في هذه اللحظةأنه استحال سمكة ، سمكة بربوني ضخمة على وجه التحديد ، ومن ثم فقد أيقن أن بقاءه على اليابسة لن يعنى له إلا الموت المؤكد ، لذلك لم يكد يقترب منه الشابان حتى كان قد ألقى بنفسه في البحر ، وارتفعت سياط الماء البارد تلفح وجهه ورقبته ، فما كان منه إلا أن غطس في الماء ، وامتدت أصابعه تتحسس موضع الخياشيم على جانبى رأسه، فلم يجد لها أثراً ، ومع ذلك فقد واصل غوصه نحو الأعماق .

مستر كانسل

من بين كل عشر كلمات يطلقها لسانه ، فإن كلمة كانسل (Cancel) تتكرر مرتين على الأقل :

- أخبارك إيه يا حربى ؟

- إيرينا خلاص كانسل

- إيرينا إإنت مش كنت ماشى مع واحدة إسمها ناتاشا ؟

- دى برده خدت وقتها وبعدين كانسل .

- سيبك من الكلام ده أخبار الوالدة إيه ؟

- العلاج مش نافع .. لازم عملية .

- وإيه المانع ؟

- ما إنت عارف .. العين بصيرة والإيد قصيرة .

حربى البازارجى .. يبيع التحف والجلابيب المطرزة للسياح ، وهو أيضاً يملك قارباً ذا قاع زجاجى يدعوا إليه الخواجات في رحلات مجانية ، خواجاية جميلة واحدة فقط في كل رحلة ، وكأغلب أصحاب البازارات فإن حربى متعدد المواهب ، فهو يرطن بعدة لغات أجنبية ، وهو أيضاً يستطيع التعرف على جنسية الخواجات من بُعد ، يكفى أن يلقى نظرة واحدة على السائحات المتسكعات أمام البازار ليخبرك أن هذه الخواجاية فرنسية وتلك ألمانية بل كثيراً ما تكشف نظراته النافذة مالا يراه أحد سواه « بص الخواجاية اللى هناك دى مش لابسة سوتيان »

يقول حربى إنه لم ير خوجاية جميلة إلا وتمنى أن يضاجعها ، وهو ليس فريداً في ذلك ، فهذه الأمنية كثيراً ما تساورنى أيضاً ، ولكن الأمر بالنسبة لي لم يتعد قط دائرة التمنى ، إذ بمجرد أن ألج إلى دائرة الفعل فإن الأمور عادة تسير سيراً مغايراً ، فالرغبة وحدها لا تكفى إذ لابد لإشباعها من موهبة خاصة ، وهذه الموهبة لا تشترط أن ترطن مثل الخواجات ، أو أن تجيد الحديث عن همومك وهموم الآخرين ، فذلك آخر ما تتوق له السائحة بل ربما يكون ذلك أدعى لتنفيرها وصرفها عنك

جربت ذلك مرة مع روسية ، استجابت لدعوتى للشراب ، ولكن لأننى لست موهوباً مثل حربى ، فلم أجد ما أبدأ به حديثى معها سوي السياسة ، إذ سألتها عن رأيها في إصلاحات يلتسين الاقتصادية ، فلم تبد حماساً للإجابة فعمدت إلى إثارتها وسألتها عن سبب الموقف الروسى المتخازل من إبادة الصرب لمسلمى كوسوفا ، فقطبت جبينها ولم ترد أيضاً ، فصممت أن أخرجها عن صمتها بأي وسيلة ، فسألتها عما إذا كانت قد شاهدت صور المذابح الجماعية لمسلمى كوسوفا ، عندئذ فقط انفعلت ولكن بدلاً من أن تجيب عن أسئلتى ، هبَّت واقفة ، وهي تغمغم بكلمات روسية لم أفهمها ، ثم مضت لا تلوى على شيء .

- إنت عارف فين كوسوفا يا حربى ؟

- طبعاً عارف .. في أوربا .

- أيوه يعنى فين بالضبط ؟

ـ جنب فرنسا من الناحية التانية .

وما حدث مع الروسية تكرر بصورة مشابهة مع أخرى أمريكية ، وكنت قد تعلمت من تجربتي الفاشلة مع الروسية ، فتجنبت الخوض في أمور السياسة ، وحاولت أن أكون أكثر ظرفاً ، فبدأت حديثي معها عن الطقس الجميل ، ثم تطرق حديثي إلى الشعاب المرجانية والكائنات الجميلة التي يحفل بها البحر الأحمر ، وكان لحديثي هذا فعل السحر على السائحة ، إذ حدثتني بدورها عن مدينتها الصغيرة على شاطئ الباسفيكي ، ثم عن إعجابها بالغردقة ، وامتد حديث الإعجاب ليشملني شخصياً ، وهنا أيقنت أن السنارة قد غمزت ، وتأهبت كي أدعوها صراحة لمرافقتي إلى شقتي ، وليتني فعلت ، ولكن لأن المنحوس يظل منحوساً حتى لو وضعوا فوق رأسه ألف فانوس ، فقد حدثني شيطان النحس أن أتريث قليلاً حتى تختفي السنارة في جوف السمكة ، فعمدت إلى تضيع الوقت ، وسألتها إذا كانت قد زارت مناطق أخرى في الشرق الأوسط ، فأجابت بأنها زارت كلا من الأردن وإسرائيل ، وهنا خرجت عن طوري دون أن أدري وقاطعتها ، « تقصدين الأردن وفلسطين » ، فرمقتني بنظرة مستنكرة لم أبال بها ، بل واصلت حديثي قائلاً :« لماذا تنظرون دائماً إلى الأمور بعيون إسرائيلية ؟ » ولم أكد أنتهي حتى كانت الأمريكية قد نهضت ، ثم ولتني ظهرها ، وسمعتها تلعنى وهي تمضي بقولها : (**OH SHIT . DAMINIT**)

ومع كل إخفاق لي كان حربي يحرز نجاحات عدة ، ربما لأنه موهوب ،

وربما لأنه ورث مهارة الصيد عن أبيه ، فهو يبدأ عادة بالتودد للسائحة بإهدائها جلباباً نسائياً مطرزاً ، أو لوحة منقوشة على ورق البردى ، فتشكره السائحة على الهدية ، وغالباً ما تتبع شكرها بقبلة سريعة ، فيغتنم حربى الفرصة ليطبع قبلة أخرى على خدها البض ، ثم يغازلها بكلمات يحفظها عن ظهر قلب ، ويختم الغزل بدعوتها للعشاء ثم الرقص في حلبة الديسكوحيث يشهر حربى مجساته الدقيقة ليختبر مدى مناعة تخومها في وجه الاجتياح ، وبعد أن يطمئن إلى هشاشتها ، يواعدها على اللقاء صباح اليوم التالى عند مرسي القوارب ، ليصحبها في رحلة بحرية مجانية .

وعادة ما يتخير حربى لرحلته تلك البقعة الهادئة المحصورة بين جزر الفنادير ، حيث المياة ضحلة فتكشف عما في جوفها من شعاب مرجانية وكائنات بحرية جميلة ، وحيث يجد قاربه الصغير مأمناً من الريح ومن أعين الفضولين والنمامين ، وما أن يصل القارب إلى غايته حتى يلقى حربى بخطافه ، ويتجرد من قميصه ، ثم يدنو من السائحة ، التى تكون عادة بلباس البحر ، فيشرح لها ما يظهر من خلال القاع الزجاجى ، ويتعمد أثناء ذلك أن يلصق كتفه بكتفها ، ويتطور الأمر قليلاً فيحتويها بإحدى ذراعيه دون أن يتوقف عن الشرح ، بينما تشرع أصابعه في العبث بشعرها وخديها ، ثم تهبط الأصابع الخبيرة إلى الصدر لتعبث يمنه ويسره ، ولا تلبث أن تغادر الصدر لتنزلق فوق البطن حتى تصل إلى غايتها .. إلى أخر

القلاع الحصينة .. ولا يمضى وقت طويل بعد ذلك حتى يكونا قد تواريا تماماً في قاع القارب .. ويشرع القارب في التأرجح على صفحة الماء .. رغم خمود الريح .. وسكون الأمواج .

-إنت مش متجوز يا حربى ؟

ـ كنت متجوز بنت خالتى وبعدين كانسل

انقطعت زياراتى لحربى بضعة أسابيع ، وعدت لزيارته بعد وفاة والدته ، التي ماتت متأثرة بمرضها الطويل ، ثم صادفته في الطريق بعد ذلك بعدة شهور ، وكانت برفقته شقراء في رداء أرجوانى قصير ، يكشف عن ساقين متناسقين لوحتهما الشمس ... وكان حربى يسير إلى جانبها خائراً حتى خيل إليَّ أنه يتعكز على كتفها ، كما بدا لي أقصر بكثير مما عهدته ، بينما سارت الشقراء بمحازاته .. مشدودة القامة .. فارهة .. وكانا عائدين من مرسى القوارب .

العـــم راشـــــد

..... ثم يجز على شفتيه ويقول إنه أقدم من الغردقة، وأنه شاهد بأم عينيه مولدها، وعاصر بيوتها القديمة وهي تشيد، ثم تطيح بها المعاول لتقام مكانها عمارات شاهقة كالمردة، ودكاكين تخطف الأبصار بأضوائها وبضائعها .. لقد جئت أولاً ثم جاءت الغردقة من بعدى .

ودون أن تسأله عن التفاصيل يتطوع فيبادرك بقوله إنه هبط من وادى الشايب، بعد أن هجره سكانه وماتت زوجته التى لم تنجب أطفالاً، ثم يفرك وجهه المتغضن بأصابعه، ويقول إن فرقة من رجال الحكومة حلت بالوادى، وأحصت الرجال والنساء والأطفال، وقبل أن ترحل أخذت معها عينه من مياه البئر، ثم عادت بعد بضعة أشهر لتحذر السكان من أن المياه ملوثة بالرصاص السام .

ثم يطرق برأسه ويقول إن العربان عاشوا عشرات السنين يشربون من البئر دون أن يتسمم أحد، ومع ذلك فقد استجابوا لتحذير الحكومة ورحلوا إلي وديان أخرى، بينما هبط هو إلى الغردقة لينصب بيتاً من شعر الماعز إلى جوار شركة إنجليزية تنقب عن النفط، ولكن عندما انتبه إليه كبير الخواجات داهمه بشاحنة صغيرة، وبرفقته جماعة من عساكر الهجانة، الذين نقلوه مع أسماله وألقوا به بعيداً عن الشركة، ولكن رغم ذلك داوم بعض العمال المصريين على زيارته، وأعانوه في بناء عشة جديدة له من الصاج والصفيح والمواسير .

ولم يمض وقت طويل بعد ذلك حتى أجدبت الوديان، وماتت قطعان العربان . فنزحوا من الجبال إلى الغردقة، ونصبوا بيوتهم بالقرب من الشركة الإنجليزية، ثم تدفق الصعايدة من وادى النيل، يحدوهم الأمل في

العمل في شركة النفط ، فانشقت الأرض عن بيوت صغيرة هنا وهناك ، ثم تناسخت البيوت ، وتوالدت كحبات الحنظل ، إلا إن كل ذلك قد جاء متأخراً ، إذ لم يلبث النفط أن نضب من الغردقة ، فرحلت الشركة الإنجليزية بخواجاتها وبعض عمالها إلى الشمال ، مخلفة وراءها العم راشد وجماعة من الصيادين والعاطلين ممن أضناهم الجوع والعرى .

***

ولكن السنوات العجاف لم تستمر طويلاً بالغردقة ، ومن الثابت أن الفضل في ذلك يعود ، من بعد الله ، إلى الحكومة ، ذلك أن الحكومة التي يرجع إليها فضل إكتشاف تسمم مياة البئر في وادى الشايب ، عادت هي نفسها لتكتشف أن سواحل الغردقة غنية بالشعاب المرجانية ، وأن شواطئها لا يوجد لها مثيل في العالم ، فما كان منها إلا أن فتحت الباب على مصراعيه أمام المستثمرين والسياح ، الذين تدفقوا إليها من كل حدب وصوب ، فدبت فيها الحياة من جديد ، وعمرت بالخلائق ، واتسعت الأرزاق .

ومع حركة العمران التي لا تتوقف في المدينة ، انتبه العم راشد فجأة ليجد أن عُشَّته قد توسطت المدينة ، بل أصبحت ملاصقة للسوق تماماً ، وهو الأمر الذي قلب حياة رأساً على عقب ، وبدأت مرحلة جديدة من الحياة الرغدة لم يعهدها الرجل من قبل ، ذلك أن أغلب القادمين من السوق كانوا يمرون بعشته ، فيلقون إليه بنذر مما يحملون ، رغيفاً من الخبز ، برتقالة ، حفنة من السكر ، كما دأب الصيادون على أن يلقوا إليه ببعض من أسماك الموسم ، سيجان ودرينى وبربونى .

ورغم أن العم راشد كان عزوفاً عن الحركة ، لأن ساقه اليمنى كانت أقصر قليلاً من اليسرى ، إلا أن كسب الرزق كان يستلزم ألا يكف الرجل عن الحركة أمام عشته طوال النهار ، حتى يستطلع الطريق ، ويرقب الغادين والرائحين ، فإن لمح شخصاً قادماً من السوق ، أو صياداً ينوءبحمل زكيبته بادر بالجلوس ، ومد رجليه عن أخرهما ، فيلحظ القادم ذلك ، ولا يخذله غالباً .

ولأن العم راشد شيخ كبير ومريض أيضاً ، فقد وجد فيه البعض شخصاً مناسباً تماماً لتلقى الصدقات ، لذلك اعتاد الناس أن يتحلقوا عشته في الأعياد والمناسبات ، ليدسوا في يده أوراق النقد ، وفي أيام الشتاء الباردة كانت العشه تتكدس بأكوام من الثياب الصوفية ، التي بليت أو ضاقت على أصحابها ، وكان العم راشد سعيداً جداً بكل ذلك ، لولا بعض الضجر من أفواج السائحين ،الذين دأبوا على التجول في السوق والتقاط الصور له ولعشته ، ولقد بدأت زيارات السائحين للعشه متباعدة في أول الأمر ، ثم أخذت تتقارب وتتقارب حتى أصبحت تتكرر عدة مرات في اليوم الواحد ، وكان من الطبيعى أن تنتبه الحكومة لذلك وراءها التقاط السياح صوراً للعشه ، ومن ثم كان قرارها العاجل بإزالتها .

ولم يعدم العم راشد بالطبع من يسر إليه بقرار الإزالة ، ولكن الغريب أن الرجل لم يحفل كثيراً بذلك ، ربما كان شديد الثقة في الحكومة ، وربما لأنه كان يظن أن قرارات الأزالة تنفذ دائماً ، أو أن حائلاً سيحول دون تنفيذها عليه على الأقل ، ومهما كانت الأسباب التي خففت من وطأة القرار عليه ، فإن هذا القرار بالذات دخل في حيز التنفيذ بأسرع مما يتوقع الرجل.

ولأن العم راشد كان من أفقر فقراء الغردقة ، فإن رئيس البلدية كان حريصاً ألا يتسبب قرار الإزالة في أن يتحمل الشيخ الفقير ما لا طاقة له به ، أو أن يصبح بلا مأوى ، لذلك فقد جاءت تعليماته صريحة جداً لا تحتمل اللبس : « يتم نقل العشه إلى أطراف المدينة على نفقة البلدية ، ودون أن يتكلف الرجل الفقير مليماً واحداً »

ويقول البعض ممن رأوا العم راشد وهو يعتلى شاحنة البلدية ، التى نقلته مع حطام عشته ، إلي خارج المدينة في حراسة شرطة المرافق ، أن فكَّيْه كانا يصطكان بلا توقف ، وأن وجهه المتغضن كان ينطق بالدهشة أكثر مما ينطق بالغضب .

ولم يطل الوقت كثيراً بالعم راشد في مقامه الجديد ، بل إنه لم يعبأ حتى بأعادة بناء عشته ، ولم تكد تمضى بضعة أيام حتى جاء من يعلن أن العم راشد قد أختفى فجأة .. مخلفاً وراءه أسماله وأنقاض عشته ، فانشغل الناس في التساؤل عن السر وراء اختفائه ، فقال أحدهم أنه رأى العم راشد فوق ظهر شاحنة متجهة صوب رأس غارب ، وقال أخر إنه شاهده يستجدى المصلين أمام أحد المساجد في سفاجا ،بينما زعم ثالث أنه رأى الرجل وهو يجوس في الرمال ، مولياً وجهه شطر رؤوس الجبال ، في حين أقسم رابع أنه لمح شبيهاً له في الشلاتين ، ولكن رغم ذلك كله فإن احتفالهم باختفائه لم يدم طويلاً ، إذ سرعان ما استغرقتهم حياتهم الجديدة ، وبهتت ذكراه رويداً رويداً ، حتى توارت تماماً خلف جدران القاعة الأنيقة ، التى شيدتها الحكومة في مركز المدينة ، فوق نفس موقع العشه القديم ، لتعرض فيها صوراً وتماثيل .. تحكى عن عظمة الماضى .. وجمال الحاضر .. وتضج بالسياح الذين يلتقطون الصور .

الخالة فضة



الجميع يطلقون عليها الخالة فضة ، حتى شيوخ القرية وعجائزها ، وهي تجوب الشوارع الترابية ، حاملة صرتها الثقيلة فوق رأسها ، تبيع المناديل النسائية وزجاجات العطر ، وقد انحنى ظهرها قليلاً إلى الأمام ، وتسللت من تحت الصرة احدى خصلات شعرها المخضب بالحناء .

ومع أن الرجال ينفرون عادة من كل ما يثير غريزة الشراء لدى نسائهم، فان رجال القرية لم يشعروا قط بالنفور من الخالة فضة ، فهي تقنع بالقليل، ولا تمانع من مقايضة المنديل أو زجاجة العطر بدجاجة أو قالب من الجبن .

والخالة فضة ليست مجرد بائعة متجولة ، فهي قابلة ماهرة ، ولد على يديها كل أطفال وشباب القرية ، وطبيبة أطفال حاذقة ، تعالج الكسور والكدمات بجبيرة سحرية من الدقيق وزلال البيض ، وهي ايضا الخاطبة التى اثمرت مساعيها عن معظم الزيجات السعيدة في القرية ، فهي تعرف كل الفتيات ، الجميلات منهن والدميمات ، وكل الشبان ، العاقل منهم والطائش .

ومما رفع من شأنها ، قدرتها على طرد النكد من البيوت ، فهي ترتاد احواش المنازل ، وتنحني إلى الأرض ، لترسم بسبابتها تمساحا على الرمال ، ومن فوقه كومة من الحطب تشعل فيها النيران . وكما تزعم الخالة فضة ، ويصدقها الناس ، فان خروج النكد من البيت يكون مضمونا إذا أضرمت النيران في التمساح المزيف ، صباحا بعد بزوغ الشمس ، أو مساء قبل حلول الظلام .

ولأن الزمن لا يتوقف أمام إنسان واحد مهما كان موهوبا ، فقد جاء

اليوم الذي كسدت فيه تجارتها من العطر والمناديل ، وفقدت جبائر الدقيق والبيض سحرها ، بعد أن اصاب قريتنا ما اصاب غيرها من تطور محتوم ، فرصفت شوارعها الترابية ، وغزتها أعمدة الكهرباء ، وقامت في اركانها دكاكين متخمة بالبضائع ، وعلى مشارفها مستشفى كبير يعج بالأطباء والممرضات .

ورغم انصراف الناس باطفالهم إلى المستشفى ، وتكالب النساء على الدكاكين التى تخطف الأبصار ، فإن الخالة فضة ما تزال تجوب شوارع القرية ، وقد تخففت من عناء الصرة ، وبدت قامتها أكثر اعتدالا ، فتفتح لها الأبواب ، لتخطب البنات ، وتحرق التماسيح .

إرهـــــاب

في إحدى القرى السياحية على ساحل البحر، جلس في المقهى المطل على الشاطئ مباشرة يطالع عناوين الأخبار في جريدة الصباح . نفس الأخبار التي تعود قراءتها منذ شهور والتي تبعث على الانقباض : « البوسنه والهرسك .. الحرب الأهلية في الصومال .. متطرف يلقى مصرعه على يد الشرطة » .

وفي عمود كبير على يمين الصفحة الأولى تعليق لرئيس التحرير . أخذ يقرأ : « مقاومة الإرهاب مسؤولية كل مواطن .. لابد من تضافر جهود المواطنين والشرطة في التصدى للإرهاب .. بلدنا آمن ولكن أجهزة الإعلام الأجنبية تبالغ في تضخيم الأحداث .

نظر إلى المائدة المجاورة ، رجلان وامرأة يحتسون المشروبات ويثرثرون ، اصغى إلى الحديث ولكنه لم يفهم شيئا . كانت المرأة جميلة ، رقيقة ، لم تكن بشرتها ناصعة البياض أو محتقنة الأحمرار كغيرها من بنات الفرنجة ، بل أقرب إلى سمرة تربة يحبها على جانبي النهر ، استمر ينصت لعله يهتدى إلى هوية المتحدثين . ومن خلال بعض الكلمات أدرك أنهم الماني ، شعر برغبة جارفة لأن يقتحم عليهم سكينتهم ويفرض نفسه طرفا في الحوار ، بعد أن أغراه جمال المرأة بالاقتحام ، فأعاد النظر إليها ، وهو يستجمع شجاعته ، ثم دار بعينيه يتفقد الرجلين المرافقين ، فلم يشعر نحوهما بالألفه بل تمنى أن تنشق الأرض من تحت المنضدة وتبتلعهما وتبقيها .

كان أحدهما شديد التجهم ، ثقيل الظل مثل كوابيس الفجر ، يبدو ساخطا متبرما دون سبب ظاهر ، وكأنه يحتج على بقائه حيا ، أما الآخر

فكان أصغر سنا وأكثر مرحا ، ملامحه رقيقة وشعره أكثر طولا من شعر المرأة . . أما أذنه اليمنى فقد تدلى منها ما يشبه القرط الذهبى .

وأخيراً نجح في أن يجمع شتات شجاعته ونظر إلى المرأة بعد أن تسلح بجميع مفردات اللغة الإنجليزية التي يعرفها وسألها :

ـ هل تتحدثين الإنجليزية ؟

ـ نعم

ـ أنتم المان ؟

ـ نعم

ويبدو أن تطفله لم يعجب الرجل المتجهم أو أنه وجد سببا جديدا يضاعف به جرعة الأحتجاج المتأصلة في وجهه .

ولكن صاحبنا تغاضى عن هذا الانذار الصامت وبادره قائلا :

ـ هل أعجبتكم الغردقة ؟

لم يجبه بل نظر إلي المرأة التي اسرعت لتقول :

ـ أن صديقي لا يتحدثان الإنجليزية .

خير وبركة ، أسر لنفسه ، الحديث إذن سيكون مع الجميلة فقط وليذهب صديقاها إلى الجحيم ، ولم يبذل جهداً كبيرا لإخفاء سعادته وعاد يسألها :

ـ هل أعجبتكم الغردقة ؟

- نعم .

- وماذا اعجبكم فيها ؟

- الطقس المعتدل .. ومياه البحر الصافية

- وماذا عن الناس ؟

- ودودون .. وظرفاء .

تمنى أن يطول الحديث لكن المرأة انشغلت عنه بالترجمة لصديقيها .. وما أن انتهت حتى بادرها :

- هل زرتم منطقة الأثار في الأقصر ؟

- للأسف لن نتمكن من زيارتها .

- لماذا ؟

- لقد حذرتنا حكومتنا من التوجه إليها لإنعدام الأمن .

تذكر فجأة ما كتبه رئيس التحرير عن نزوع بعض أجهزة الإعلام إلى تضخيم الأحداث ، فانتفض مستنكرا وهو يقول :

- هذا غير صحيح ... المنطقة آمنة ولا خوف من زيارتكم لها .

نظرت المرأة إلى أحد الرجلين تستنجد به ولكنه خذلها فقالت :

- قد يكون هذا صحيح .. ولكن من يضمن سلامتنا ؟

- أنا اضمن سلامتكم

- أنت ؟

- نعم أنا

أزاحت المرأة خصلة الشعر الرقيقة المتدلية فوق جبينها وتساءلت ذاهلة وهي تهز منكبيها :

- هل أنت من الشرطة ؟

- لا .. أنا مواطن عادى .

- اتعمل في قطاع السياحة ؟

- أبدا .. أبدا

فحولت وجهها عنه لتخفى ابتسامة تنم عن عدم التصديق ، ثم عادت إليه وهي لا تزال تخفى ابتسامتها تحت منديل وردى .. وقالت :

- أين تعمل إذن ؟

- أننى أعمل في الخارج وأحضر هنا كل صيف لقضاء أجازتى .

تراجعت ابتسامتها أمام غلالة من الشك بدأت تغلف وجهها وعادت تسأل :

- وكيف تضمن سلامتنا ؟

- استطيع أن اصحبكم إلى هناك بسيارتى الخاصّة وأعيدكم في نفس اليوم

- وما هو المقابل ؟

ـ لا شيء أريد فقط أن أثبت لكم أن المنطقة آمنة وأن بلدنا آمن .

قال ذلك وهو يسترجع كلمات رئيس التحرير الحماسية عن وجوب تضافر الجهود في التصدى للإرهاب .

وبعد مشاورات بين المرأة وصديقيها استغرقت بعض الوقت ، عادت تسأله وهي ترمقه بتوجس :

ـ متى يمكنك أن تفعل ذلك ؟

فشمر عن ساعديه وهو يقول بلهجة الواثق :

ـ الآن أن شئتم .. أو غدا صباحا

ـ إذن غدا صباحا .. هل تناسبك التاسعة صباحا ؟

ـ فليكن موعدنا التاسعة من صباح الغد .

في صباح اليوم التالى ، وفي التاسعة تماماً ، وصل إلى القرية السياحية ، وأوقف سيارته في المكان المخصص دون أن يوقف محركها ، ثم هرع إلى المقهى وهو يمنى نفسه براحة الضمير التى تعقب أداء الواجب ، ولا بأس أن يتم من خلال رحلة جميلة مع أحدى حسناوات الراين .

وما أن دلف من الباب حتى فوجئ ، بثلاثة مجهولين مفتولى العضلات كمصارعى الثيران ينقضون عليه ويطرحونه أرضا ... رفع رأسه بصعوبة وقد جثم المجهولون على صدره وساقيه حتى أوشك أن يموت اختناقا .. ثم حاول أن ينهض أو يستدير بعد أن شعر بجسم معدنى يصوب إلى رأسه ولكن دون جدوى .. وقبل أن يفيق من ذهوله دخلت الألمانية الحسناء من

أحد الأبواب الجانبية وأشارت إليه وهي تحتمى بصديقيها وبالرجال المجهولين .. ثم قالت :

ـ نعم .. أنه هو

وفي تمام العاشرة صباحا نقلت وكالات الأنباء خبرا عاجلا تصدر صفحات الصحف الأولى يقول :

« احباط مخطط إرهابى لاختطاف فوج سياحى المانى »

« زعيم الشبكة يعترف بتفاصيل المخطط ويرشد عن شركائه » .

خمس زجاجات

الأولـــى

يلحظني سمير ويتبعني بالزجاجة الأولى ، فأنتحي ركني الأثير ، ومعي جريدتي أستر بها وجهي عن المتطفلين والنمامين . أرقب رؤوس الأمواج الصغيرة وهي تنكسر فوق الرمال الناعمة ، ثم تنحسر أطرافها في هدوء وتراخ ، مخلفة زبدها الأبيض الذي سرعان ما يتفتت وينقشع كالضباب . من حولى تنتصب هامات عدة لأشجار زاهية ، بونسيان وكافور وأكاسيا ونخيل بلدى وأفرنجى ، أتعجب كيف تزهو الأشجار على شفا ماء مالح !

في الفضاء المحيط بي تتوزع عدة مقاعد ومناضد من الخيزران في شكل حلقات ، يشغل أغلبها سياح أجانب ، إيطاليون وألمان وإنجليز وفرنسيون ، ومن بينهم فوج سياحى مجهول ، انتحى أفراده جانبا ، وتحلقوا حول مرشد سياحى بيده كتيب صغير .

أفرغ من الزجاجة الأولى فلا تخلف عندى أثر يذكر . أعدها مجرد دغدغة لحواسى حتى تستفيق .. وتتهيأ للنشوة القادمة .

الثانية

تضغط السوائل على مثانتى ، ولكن أؤجل الذهاب لدورة المياه إلى حين الانتهاء من الزجاجة الثالثة ، ثم تهب نسمة خفيفة من البحر ، فأستقبلها على وجهى ، واستسلم لخفيف النشوة في عروقى ، ثم أشعر برغبة جامحة في الثرثرة ، وابحث حولى عن وجه مألوف فلا أجد سوى سمير ، ألوح له فيأتينى على عجل ، وأسأله عن هوية ذلك الفوج ، فيوشك أن يقول شيئا ، ولكنه يتراجع ، ثم يلتقط الزجاجة الفارغة ، وينصرف هامسا : « مش وقته

.. بعدين أقولك » .

يقتحم مجال بصرى رجل أصلع ، صارم الوجه ، يرتدى بنطلونا أزرق ، وقميصا أبيض يبرز عضلاته المفتولة ، أرقبه فألمح طرف مسدسه يتدلى من أسفل قميصه ، يدنو منى ، ويمسحنى بنظراته من رأسى إلى قدمى ، ثم يتابع سيره في تمهل وتؤدة ، وعيناه تتأرجحان كالبندول .

الثالثة

بحكم ترددى المتكرر على القرى السياحية اصبح بمقدورى التعرف على هوية السياح بمجرد النظر إلى ملامحهم ، ولكن هذا الفوج بالذات أصابنى بالحيرة ، إذ لم أجد بينهم شيئا واحدا مشتركا باستثناء نظراتهم الحذرة التى يرمقون بها كل من يدنو منهم ، حتى سمير الذي يقوم على خدمتهم ، فملامحهم لم تكن متشابهة ، فمنهم من له ملامح أوروبية ، ومنهم من تغلب عليه الملامح الشرقية أو يتميز بملامح أفريقية خالصة ، حتى ألوانهم كانت متنافرة ، ففيهم الأشقر والأبيض والأسمر بل والأسود أيضا .

يزداد الضغط على مثانتى ، ولكن أتكاسل عن الذهاب لدورة المياه ، ثم إلوح لسمير فيأتينى بالزجاجة الثالثة ، وأسأله عن الرجل المسلح ، فيزم شفتيه ، ثم يتلفت حوله ويهمس : « مباحث .. عشان الفوج الإسرائيلى».. أردد « إسرائيلى ؟! .. واستغرب كيف اقتحموا تخوم مدينتى .

الرابعـة

قبل أن أغـادر دورة المياه نظرت في المرآة ، وطالعت عـينين محتـقنتين ، فغسلت وجهى ، وبللت شعرى ، وفي طريق عودتى لمقعدي تعمدت المرور بالقرب من السياح الإسرائيليين ورمقتهم بطرف عينى ، فرفعوا جميعا نظراتهم المستريبة وألصقوها برأسى ، ثم انشقت الأرض عن الشرطى المسلح وراح يتفحصنى بإمعان ، كأنما يسبر أغوارى ، ثم انتحى بسمير ودار بينهما حديث هامس ، تخلله تصويب نظراتهم نحوى .

أرتشف أخر قطره من زجاجتى ، فترتبك معدتى وينتابنى دوار مفاجئ فاملأ صدرى بالهواء المشبع برذاذ البحر ، ثم أسترخى على مقعدى ، باسطا ساقى على سعتهما ، فأشعر بالانتعاش ، وتعاودنى الرغبة في الثرثرة ، فأتلفت حولى ، وأرى سميرا ينحنى لأحد الإسرائيليين ، فتنتابنى نوبة مفاجئة من الضحك أخفق في قمعها ، وتنطلق ضحكاتى بلا إنقطاع ، ثم تلتقى عيناى بعينى الرجل المسلح فأبعدهما ، وابتلع ضحكتى الأخيرة ، بعد أن ارتدت إلى حلقى ، ثم أبسط جريدتى وأتشاغل بمطالعتها .

الخامسة

يتناول سمير الزجاجة الفارغة فأطلب أن يأتينى بالسادسة ، فيدنى شفتيه من أذني : « كفاية كده .. الجو متكهرب النهاردة » يهمس بها ، ثم يقفل عائدا صوب الفوج الإسرائيلي ، يتملكنى شعور جارف بالاستياء ، وأشعر بالدم يندفع حارا إلى وجهى ، فأخلع حذائى ، وألوح به في وجه الإسرائيليين ، فترتفع همهماتهم ، ثم يتلاصقون في حلقة واحدة صغيرة ،

وينتبه موظف الأمن إلى ما يجرى ، فيداهمنى ، ويطبق بيده على معصمى

ولكن عندما هرول إلينا الشرطى ، شعرت بقبضة موظف الأمن ترتخى على معصمى ، فتحفزت للهرب ، ثم جذبت يدى عنوة ، وانطلقت راكضا ، فتعقبونى ، وتحلقوا حولى ، الشرطى وموظف الأمن وأخرون ، ثم باغتنى الشرطى بركلة قوية أوقعتنى أرضا ، وانقضوا على جميعا دفعة واحدة ، ولم تجد محاولاتى لتحاشى ضرباتهم المتلاحقة على وجهى وصدرى ، فشتمتهم جميعاً . . وشتمت إسرائيل . . ثم صرخت بأننى أكرههم . . بل وأكره أمريكا أيضا وأتمنى أن امسحها من الخريطة .

غرس الشرطى مسدسه في أرنبة أنفى . . فندت عنى صرخة مفعمة بالرعب . . ثم أجهشت بالبكاء . . وأقسمت بنبرة مستعطفة بأننى لم أكن أنوى التهجم على الإسرائيليين . . وليس لى أى علاقة بحادث تفجير الطائرة الأمريكية .

الحرجــل

كان الشيخ يجوب الوادى بحثاً عن زهرة الحرجل التي تشفى كل أوجاع البطن . كان ينحنى إلى الأرض في مواضع يعرفها جيداً ، ويغرس أصابعه الدقيقة في الرمال ، فينزع النبتة من جذورها بمهارة أثمرها طول المراس ، ثم يلقيها فى الزكيبة المدلاه فوق ظهره وقد انحسر ثوبه القصير فكشف عن ساقيه النحيلتين .

في عصر هذا اليوم كان الجو شديد البرودة ، وكانت زخات المطر المتساقطة تدغدغ حبات الرمال ، فتنتشى لها النباتات المشوقة إلى السقيا ، كانت الريح الباردة تلفح وجهه المتغضن ، وتضرب ساقيه العاريتين ، فلا يكف عن التجوال جيئة وذهاباً ، كنحلة نشيطة ، بحثاً عن النبتة السحرية

وفجأة تناهى إلى سمعه ضجيج يأتى من الطريق الواقعة عند نهاية الوادى ، فأنزل الزكيبة ، وأسرع يعتلى الجبل ، وبحذر ثعلب عجوز أطل برأسه يستطلع الأمر ، رأى طابوراً من المركبات الحربية ، تنهب الأرض في طريقها إلى الشرق ، بصق في اتجاهها ، وهو يتمتم : اليهود يرحلون عليهم اللعنة ، ودون أن يدرى ، امتدت أصابعه ، لتقطف حبات الحنظل وتلقيها في اتجاه المركبات لعلها تتفجر فتدمى قلوبهم بالمرارة .

ولكن ما هذا ؟ صاح الشيخ ذاهلاً . . مركبة تخرج عن الطابور ، تتوقف ، يفتح بابها ، وينسل منها رجل يرتدى جلباباً أزرق ، عرك عينيه ثم زحف عدة أمتار في اتجاه المركبات مستتراً بأعشاب العاقول ، وراح يمعن النظر ، وندت عنه صرخة حاول كبتها حتى لا تفضحه ، إنه سالم ذلك الوغد الخائن .

لقد كانت خيانة سالم محل شكه الدائم ، وها هو الشك يتحول إلى

يقين ، « الموت لك يا سالم » ، قالها وهو يبصق مرة أخرى في اتجاه المركبات ولكن فجأة تنطلق رصاصات متتابعة ، من نفس المركبة ، ويسقط سالم مضرجاً بالدماء .

كادت الدهشة أن تفتك بالشيخ ، فتقهقر زاحفاً من حيث أتى ، واندس بين شجيرات الأثل ، وظل في مكمنه حتى هبط الليل وانحسر الضجيج ، فانسل مستتراً بغلالة الظلام وعبر الطريق في اتجاه القرية ، متحصناً بخبرته الطويلة بالشعاب والدروب .

وفي الصباح خرج الشيخ قاصداً الوادى ، ولما مر بسفح الجبل لم يكن للرعاة سوى حديث واحد . الذئاب التهمت البارحة رجلاً مجهول الهوية ، كل ما تخلف عنه بقايا جلباب أزرق .

أصغى الشيخ لحديث الرعاة ، فانفرجت شفتاه عن ابتسامة كبيرة ، ثم أخذ نفساً عميقاً ملأ رئتيه بالهواء النقى ، وهرع في اتجاه الوادى وهو يمنى نفسه بالرزق الوفير ، وقد هبت من خلف الجبل نسمة رقيقة أخذت تعبث بثوبه وتداعب أزهار الحرجل .

نوبة نعاس

توسطت الشمس السماء ، واشتدت الحرارة ، فانحنى إلى الأرض ، وأخذت أصابعه تلتقط الأعشاب الجافة ، وتكومها في ظل شجرة الطلح العجوز ، ثم أشعل عود الكبريت ، وألقى به بين الأعشاب ، فارتفعت ألسنة اللهب ، وتصاعد الدخان .

فتح الزكيبة ، وأخرج علبة صغيرة من الصفيح ، ضاعت معالمها من أثر الدخان ، ثم أنزل القربة من فوق الشجرة ، وصب الماء في العلبة حتى فاض، وقبضت أصابعه على مقبض العلبة ، ودفعت بها إلى النار .

ارتفعت حرارة الماء فألقى به حفنة من السكر ، وأخرى من الشاى ، وأخذ في التقليب حتى اصطبغ الماء بلون داكن ، ثم تصاعدت رائحة الشاى، وتساقطت قطرات منه على ألسنة اللهب ، فارتفعت الطشطشة ، وزكمت أنفه رائحة السكر المحروق .

أسند ظهره إلى جذع الشجرة ، وراح يرشف الشاى بلذة ، وهو يرقب الماعز التى ترعى في اطمئنان ، ثم عادت أصابعه تعبث في الزكيبة ، والتقطت قطعة من الجبن الجاف ، دفعها إلى فمه وراح يلوكها ، فامتزج طعمها بنكهة الشاى الزكية .

مع آخر رشفة ، تراءى له طيف مزيونة ، فأمسك بالعصا ،وشرع يرسم وجهها على الرمال ، ثم توقف عن الرسم ، وأخذ يشق بطرف العصا خطوطاً مستقيمة على الأرض ، ثم يطمسها بالتراب .

داعبه النعاس ، فتمدد متوسداً قربة الماء ، وأخذ يتقلب يميناً ويساراً ، مستشعراً برودة الماء في خديه ، بينما أخذت شفتاه ترسلان قبلات ساخنة

في الهـواء ، استـقبـلها طيف مزيونة ، وأعـاد إرسالها ، وتواصل الإرسـال والاستقبال لحظات ، ثم استسلم لنوم عميق .

يوقظه ثغاء الماعز ، فيفتح عينيه ، ويعتدل ، ثم يمعن النظر ، فإذا بالقطيع يتشتت ، وحوافر الماعز الجافلة تثير الغبار ، والذئب يغرس أنيابه في ضـرع العنز البيـضاء ، فتنزف العنز ، ويتعالى ثغاؤها ، فيتركها ، ويطبق فكيه على رقبة التيس الأشهب ، ويفر به هارباً .

الحــوت

لم يكد صابر يخطو أولى خطواته خارج منزل الحوت حتى تفجر داخله بركان دام من الألم والدموع .. شعر بغُصَّة في حلقه ، وبالسماء تطبق على أنفاسه .. حاول أن يجمع شتات نفسه ويحكم قبضته عليها ، حتى لا تتبخر من العذاب .

ثم ترحَّم على الأيام الخوالي ، أيام كان القرش على قيد الحياة ، فقد كان القرش رجلاً قوياً رغم فقره ، وكان أهل البلدة يلجأون إليه كلما اشتد بهم ظلم الحوت . أما إذا طغى القرش فكانوا يستمدون النصرة من تحت أقدام الحوت .

ومات القرش ، مات فجأة وبلا مقدمات ، وربما كان مريضاً دون أن يدرى ، المهم أنه مات لتسقط القرية بين أنياب الحوت .

هز كتفيه ، عبث في رأسه بأصابع مرتعشة ، المشكلة عويصة ، ولكنها ليست مشكلته وحده ، إنها مشكلة البلدة كلها ، وتذكر المثل القائل : «الموت مع الجماعة عيد » .

دون أن يدرى ساقته قدماه إلى منزل الشيخ عفيفى ، حكيم البلدة وأكبر رجالها عمرا ، رجل يخترق ببصيرته المجهول . فقد يجد لديه دواء للعلة وحلاً للمعضلة .

عندما دنا من المجلس ، بادره الشيخ قائلاً :

- ما الخطب يا ولدى ؟

- إننى قادم لتوى من عند الحوت

- وماذا حدث ؟

-ذهبت أشكو إليه الغندور وابتزازه لفقراء الصيادين ، فطردني وتوعدني بالثبور وعظائم الأمور .

عبث الشيخ بأصابعه في أوراق صفراء كانت أمامه ، ثم قال :

-إنها الحكمة يا ولدى .. حكمة الحوت .

-وما الحكمة في هذا يا شيخنا ؟ إنه ظلم .

-الحكمة لا تعنى دائماً العدل يا بنى .

أطرق صابر برأسه ، شعر بكلام الشيخ يهزه من أعماقه ، يقتلعه من جذوره ، كاد أن ينصرف غاضباً ، فقد بدا أن الشيخ يبرر الظلم ، ولكن طرقاً على الباب حال دون نهوضه ، وصاح الشيخ يخاطب الطارق : «ادخل يا سليم » .. وما إن دنا سليم من المجلس حتى بادره الشيخ :

- ماذا عندك يا سليم .. هل كنت عند الحوت أيضاً ؟

- نعم يا شيخنا .. إنه حقاً رجل طيب .

فانتفض صابر كمن لدغته حيه ، وصاح :

-رجل طيب !. الحوت رجل طيب ؟! .

-نعم يا سيدى ، فهل كان يتصور أحد أن يقوم الحوت بزيارة أرملة القرش ، عدوه السابق ومنافسه على السطوة .. وهو لم يكتف بالزيارة بل حمل لها ولأولادها الهدايا الثمينة ، ثم وعد بإصلاح حالهم .

-هكذا بلا مقابل ؟

-نعم بلا مقابل .. لم يشترط الرجل سوى أن يتبعوا حكمته .

وهل وافقوا على ذلك ؟

- وافقت الزوجة ، لكن الخلاف دب بين الابناء .

وهنا وضع الشيخ حداً للمحاورة ، وتوجه إلى سليم :

- وماذا فعل الحوت مع همام .. اللص الذي نهب بيوت البلدة وحوانيتها؟

- لقد انتهى الأمر يا شيخنا ، فقد عاقبه الحوت بحرق بيته وحبسه في المغارة لا يبرحها .. وهنا قفز صابر كمن عثر على غنيمة .. وصاح وقد انتابته نشوة الظفر :

- أرأيت يا شيخنا ؟ لقد حرق الحوت بيت همام ثم يغض الطرف عن الغندور ، يا للعجب ؟

لم يهتز الشيخ للمفارقة كما توقع صابر ، بل اكتفى بالقول :

- لا تقلق يا ولدى .. سيقوم الحوت بتأديب الغندور أيضاً في الوقت المناسب .

- وماذا يمنعه من ذلك الآن ؟

- إنها الحكمة يا ولدى .. لابد من حكمة عظيمة وراء إحجام الحوت عن تأديب الغندور الآن .

فقال صابر بانفعال بدد كل الحذر :

- الحوت رجل قوى يا شيخنا ، لكن القوة حين تفتقر للعدل تصبح غاشمة ..

حمقاء .

ـ الله وحده يا بنى هو الذي يجمع بين القوة والعدل .

لعن صابر في سره حكمة الحوت ، وكل الحكم المقيتة . ما الذي يجبرنا عليها ؟ وقريتنا كلها حكماء .

وكأن الشيخ قد نفذ ببصيرته إلى أعماقه ، وأدرك ما يختلج في نفسه ، فأشار إلى صناديق مهملة اعتلاها الصدأ والغبار في ركن الغرفة ، ثم قال :

ـ لا جدوى من حكمتنا وهي رهينة الصناديق .

فصرخ صابر ، كانت أول مرة يصرخ فيها في وجه الشيخ ، ولم لا ؟ وقد شعر بأهل البلدة جميعاً يصرخون معه :

ـ ومتى يفرج عنها يا شيخنا ؟

أشاح الشيخ بوجهه ، وحدق في سقف الغرفة كأنما يستقرئ المجهول ، ثم جمع أوراقه معلناً نهاية الزيارة ، وقبل أن ينصرف صابر ، سمع الشيخ ينطق بأخر كلماته ، فجاءت مزيجاً من اللوم والشفقة ، ولكنها داعبت في نفسه أملاً أوشك أن يموت :

ـ ليس اليوم يا ولدى . . سيأتى غداً من يحطم الصناديق ويزيل عنها الغبار .

سبع أرواح

رأيته مراراً يجوب الشوارع فلم أحفل به ، ولكن في تلك المرة اقتفيت أثره ، شيخ كبير بين الثمانين والتسعين ، يرتدى حذاءً بالياً ، وجلباباً أبيض قصير لفحته الشمس فتداخلت فيه مساحات عديدة باهتة ، على رأسه طاقية بنية ترتكز فوق أذنين كبيرتين مفلطحتين ، أما صفحة وجهه فتموج بنتوءات وأخاديد عميقة كالأرض الجدباء ، لم يستحوذ الرجل سوى على انتباهي وانتباه السياح الذين أخذوا يلتقطون له الصور وللقطط التى تتبعه .. خمس قطط مختلفة الألوان تتبعه في طابور منتظم .. تقف إذا وقف .. ثم تتابع سيرها عندما يتحرك ، دون أن تأبه للمارة أو السيارات المارقة ، وكأنها لا تعرف من الدنيا سواه .

تبعت الرجل من أمام مقهى شدوان مروراً بالدكاكين المجاورة حتى بلغ مطعم المعلم قاسم ، فدخله ، وأنا في أعقابه ، ولم يكد المعلم يلمحه حتى صاح : « ساندوتش لأبو المعاطى يا جابر » ، فهرع الصبى بالساندوتش لأبى المعاطى الذي تناوله ودسه في جيبه الأيمن ، وراح يدور على الموائد ليلتقط بقايا الأطعمة ويدسها في جيبه الأيسر ، ثم انسل خارجاً ، فتبعته متجاهلاً نداء المعلم قاسم : « إزيك يا حسين .. عاوز حاجة ؟ » .

واصل الرجل سيره في اتجاه المسجد الكبير ، ثم عبر الطريق ، وعرج يساراً في الأزقة الضيقة حتى بلغ بيتاً قديماً واطئاً ، شيد من الحجر ، وسقف بالمواسير وألواح الصاج ، فدفع بابه الخشبى بقدم مرتعشة ، ثم دلف ، والقطط في أعقابه ، بينما تجمدت في مكانى ، أغالب فضولى وأتطلع إليه من النافذة ، غير آبه لنظرات مستنكرة أنشبتها في وجهى نسوة يردن الماء من طلمبة مجاورة .

تربع الرجل على الأرض في منتصف الغرفة تماماً ، وألصق ظهره بالجدار ، منحنياً برأسه قليلاً إلى الأمام ، ثم فرك أنفه براحته ، وراح يطلق صفيراً خافتاً متقطعاً ، وتراءى لي أنه يهمس لكائن غير منظور ، فدارت عيناى في أرجاء الغرفة فلم أر سوى بقايا أسمال وأوان قديمة ، ولحظنى الرجل فأرجفت ، وهممت بالإنصراف ، ثم تجاسرت بتلاوة الفاتحة والمعوذتين ، عاودت التطلع إليه ، فرأيته يرنو إلى صندوق كبير ، سرعان ما امتد إليه يمناه لتخرج قطة ارتخت قوائمها الأربعة ، وخلت مساحات كبيرة من جسدها من الشعر ، فوضعها في حجره ، بينما تحلقت حولهما بقية القطط ، وراحت تتواثب على رجليه وكتفيه ، فأشار إليها بسبابة مرتجفة ، فاصطفت قبالته ثم لاذت بالسكون .

أخذت القطط تتململ في وقفتها ، فدس يده في جيبه الأيسر ، وألقى مابه إليها ، فتدافعت إليه ،بينما ظلت القطة العجوز ساكنة تلعق أصابعه ، فمرر راحته عليها برفق ، ثم شرعت أصابعه تتعاقب على جيبه الأيمن .. لقمة لفمها ، وأخرى لفمه .

الهـــانـــم

ارتدت روائح ثقيلة ، وانسابت ريح طيبة كأنما تهب من الجنة ، ثم أشرقت بهية الطلعة .. وارفة .. باهرة العينين .. فاستطالت رقاب ، وفرغت أفواه ، وحاصرتها الأعين النهمة من كل صوب :

ـ عندكو بيرة ؟

ـ فيه بيرة من غير كحول .

ـ مافيش من التانية ؟

ـ للأسف مافيش يا هانم .

ترددت لحظة ، ودارت بناظريها في أرجاء الكافتيريا ، ثم حررت شعرها من مشبك أحمر على شكل ثمرة الفراولة ، فانسدل الشعر على صدرها وظهرها ، ثم جذبت أحد المقاعد وجلست مستندة برأسها إلى الحائط .

منذ أن عمل في هذه الكافتيريا وهو يقوم على خدمة ركاب السيارات .. ممن يتوقفون للراحة وتناول الطعام والشراب قبل أن يستكملوا رحلتهم شمالاً إلى القاهرة أو جنوباً للغردقة ، وذلك بعد أربع سنوات قضاها عاطلاً بلا عمل ، ولأن أباه قد دأب على معايرته بأن اليد البطالة نجسة وأن أخوته الصغار أولى بالإنفاق عليهم من « شحط » مثله ، فقد اضطر لقبول العمل في كافتيريا المعلم حسنين ، اثنى عشر ساعة متواصلة يومياً ،ولستة شهور متتالية ، لم يكف خلالها عن استجداء صفحات الجرائد بحثاً عن وظيفة أخرى ملائمة .. مدرس في مدرسة ، أو أخصائى اجتماعى في إحدى الإصلاحيات الإجتماعية ، وكان يفضل الوظيفة الأخيرة بالذات لأنه تخصص في علم الإجتماع ، كما أنجز في السنة الأخيرة من دراسته الجامعية

بحثاً قيِّماً حاز على إعجاب أساتذته كان موضوعه : « كيفية تعديل سلوك الأطفال المنحرفين ».

وكان أكثر ما يسبب له الضجر في عمله في الكافتيريا هو المعلم حسنين نفسه ، الذي كان يضطهده ويتصيد له الأخطاء ، والذي دأب على حرمان العمال حتى من البقشيش الذي يدسه الزبائن في أيديهم ، إذ كان ينتزعه منهم ويضعه في صندوق ، يحكم إغلاقه بقفل كبير ، وذلك بدعوى أنه سيقوم في نهاية كل شهر بفتح الصندوق وتوزيع البقشيش على العمال بالعدل ، وكان المعلم يقوم بذلك فعلاً ، ولكن بعد أن يختلس لنفسه معظم البقشيش .

ورغم أن عمله بالكافتيريا أتاح له الإحتكاك بأنماط شتى من البشر ، إلا أن تلك الهانم ، والتى ترجلت بمفردها من سيارة زلكة ، قد لفتت أنظاره إلى أقصى حد ، إذ كانت ترتدى فستاناً قصيراً مشجراً يبرز استدارة الجسد ، وينشر من مفاتنه أكثر مما يستر ، كما أن مكياجها الفاقع ، وعلبة السجائر الأجنبية والولاعة المذهبة التى راحت تقلبها بين أصابعها ، كانت كلها تشى بأشياء كثيرة تثير الفضول .

- هنياً يا هانم

- مرسى

التقط زجاجة البيبسى الفارغة من أمامها ، ومشى بضع خطوات ، فتعقبه صوتها :

- بست .. بست .. إنت يا ..

عاد أدراجه إليها ، فبادرته قائلة :

- فاضل كام كيلو على الغردقة ؟

- حوالى ١٥٠ يا هانم .

انتشى لصوتها ، وتمنى لو طال وقوفه أمامها ، إذ خيل إليه أنه رأى صورتها من قبل في التليفزيون أو على أغلفة المجلات ، وتناسى التحذير الذي لا يكف المعلم حسنين عن ترديده بأسلوبه الفج : « ممنوع الجلوس أو الرغى مع الزبائن » ، فسألها وهو يغالب الفضول :

- حضرتك مسافرة فسحة ؟

- لأ . شغل .

- هو حضرتك بتشتغلى في الغردقة ؟

- أيوه .

لفه الصمت برهة ، وتلفت حوله في حذر مشوب بالقلق ليطمئن إلى عدم وجود المعلم حسنين ، فوقعت عيناه على زملائه وهم يغمزون ، ويلمزون ومع ذلك أبى أن ينصرف إلا بعد أن يشبع فضوله تماماً :

- هو حضرتك بتشتغلى إيه ؟

- تعرف قرية فل سيزون ؟

- طبعاً .. دى قرية سياحية مشهورة .

- أنا ليا بروجرام فيها .

- بروجرام إيه ؟

- رقص شرقى .

ارتفع حاجباه رغماً عنه ، وأطال النظر إليها ، فخيل إليه أنها شرعت تتجرد من ملابسها قطعة قطعة ، حتى خال أنه يرى تفاصيل وثنايا جسدها بوضوح تام ، فانتفضت خلاياه ، وشعر بأعصابه الملتهبة تغلى وتفور ، ورغم برودة الجو ، فإن الحرارة التى أخذت تشع من جسدها في تلك اللحظة جعلت العرق يتصبب من وجهه ، ثم دب الخدر في ركبتيه حتى أوشك أن يفقد توازنه ، فسارع بالجلوس كى لا يفتضح أمره .

وبالطبع لم يكن حينئذ في حال يسمح له بأن ينتبه إلى أن المعلم حسنين كان قد وصل منذ لحظات إلى الكافتيريا ، ثم أنزوى في أحد الأركان ليرقب في صمت ما يجرى بينه وبين الهانم ،لذلك ما كادت الهانم تنصرف، حتى ارتجت الكافتيريا لصوته الجهورى : « تعالى يا أفندى » ، قالها المعلم ، وهو يلوح ببضعة أوراق تقدية :

- النهاردة كام في الشهر ؟

- عشرين يا معلم .

- خد حسابك ، وورينى عرض أكتافك ،

أسقط في يده وهَمَّ بأن يعتذر أو يطلب الصفح ، ولكنه فكر أن المعلم قد يغتنم اعتذاره ليسرف في توبيخه وإهانته ، فتملكه الغيظ ، وتمنى لو أمسك بأحد المقاعد ليحطمه فوق رأس المعلم ، ولكنه أدرك أن ذلك لن يجدى معه نفعاً ، بل سيعرضه إلى متاعب هو في غنى عنها ، لذا فقد

أطرق برأسه ، ولم ينبس بكلمة ، وكان كل ما يشغله في تلك اللحظة هو كيف يواجه أباه بفصله من العمل ، ثم كيف يواجه فترة أخرى من البطالة قد تمتد شهوراً وربما سنوات .

وعندما خطا خارجاً ، كانت سيارة الهانم الزلكة قد بدأت في التحرك ، فلم يدر بنفسه إلا وهو يعدو في أثرها كالملتاث : « يا هانم .. يا هانم » ، فلما توقفت ، أقبل عليها لاهثاً ثم استجمع أنفاسه وقال :

- أنا آسف ياهانم .. أصل المعلم طردنى من الشغل .

- وطردك ليه بقى ؟

- عشان كنت قاعد مع حضرتك .

- يا سلام !!

- هو ده اللى حصل يا هانم .

- معلهش .. تعالى الغردقة أشوف لك أى شغلانة .

- أنا مستعد أشتغل أى حاجة .. أنا مدردح وأعجبك .

- إنت اسمك إيه يا واد ؟

- محسوبك صبحى

كان الشاب يبدو « مدردحاً » بالفعل ، كما كان وسيماً ويفيض بالحيوية رغم كل الظروف ، لذلك لم تتردد الهانم طويلاً ، إذ تأملته برهة ، ثم أومأت برأسها وقالت :

- إبقى تعالى يا صبحى



أخـــرس

ـ أسمك ؟

ـ ......

كدت أكرر السؤال ، ولكنه أخرج من جيبه ورقة وقلماً وكتب :

ـ شاكر عبد السلام

ـ خير يا أستاذ شاكر ؟

كتب : ـ عندى التهاب في الحلق .

ـ هذه ليست مشكلة .. ولكن لماذا لا تتكلم .. عندك مشكلة في النطق؟

أومأ بالإيجاب ، فأشرت إلى مقعد الفحص قائلاً :

تفضل هنا لو سمحت .

كان يعانى بالفعل من التهاب بالحلق ، وهذه حالة عادية تواجهنا كل يوم ، ولكن ما لفت نظرى أنه كان يعانى من ضمور شديد في حباله الصوتية ، وكان واضحاً أن سبب الضمور إصابة قديمة من نوع ما .

ـ ما الذي أتلف حبالك الصوتية ؟

كتب : ـ اجريت لي عملية جراحية في صغرى خرجت منها أخرس .

ـ أرجوك .. أكتب مزيداً من التفاصيل .

ـ كنت دون السادسة ولا أذكر شيئاً ، ولكن والدى أخبرنى أن خطأ وقع أثناء العملية .

- وضح أكثر .

- قال والدى أن أنبوب التنفس ألحق ضرراً بحبالى الصوتية .

قمت بإعادة الفحص فى ضوء المعلومات الجديدة فوجدت أن كلامه يبدو معقولاً ، إذ كان من الواضح أن الجراح قد استخدم أثناء العملية أنبوباً للتنفس أكبر من الحجم المطلوب مما ألحق إصابة جسيمة بحباله الصوتية أدت إلى ضمورها فيما بعد .

- أستاذ شاكر .. لماذا تكاسلت عن علاج حبالك الصوتية ؟

- لم أتكاسل .. ولكن قيل إن حالتى ميئوس منها .

- من قال ذلك ؟ . إن علاجك أمر غاية في اليسر .

تجمدت ملامحه برهة ، ثم تفجر منها مزيد من الدهشة والشك ، فأردفت قائلاً :

- لقد توصل الطب مؤخراً لعلاج مؤكد لحالتك هذه .

- ......!!

- يمكننا حقن حبالك الصوتية بالسيلكون فتستعيد صوتك .

- ......!!

- ماذا قلت يا أستاذ شاكر ؟

أخيراً كتب : أستعيد صوتى ؟

- نعم .

ـ بالحقن ؟

ـ نعم .

ـ معقول ؟

ـ نعم معقول .

مرت لحظة صمت قصيرة تناوبت ملامحه خلالها تعبيرات الدهشة وعدم التصديق ،ثم كتب :

ـ أعذرنى يا دكتور .. مازلت لا أصدق .

ـ ولم لا ؟

عاد إلى الصمت .. وانحسرت دهشته .. مخلفة وراءها غلالة من القلق والحيرة :

ـ وكيف سيكون صوتى الجديد ؟

ـ لا نستطيع التنبؤ بذلك .. قد يأتى صوتك عادياً .. وقد يأتى غليظاً أو حاداً بعض الشيء .. المهم أن تنطق .

وصفت له علاجاً لالتهاب الحلق .. ثم انصرف ، على وعد بزيارتى صباح الأحد القادم لعلاج حباله الصوتية .

(٢)

لم أشعر قط أنه أخرس ، فأنا أفهمه جيداً من تعبيرات وجهه ، كما أفهم نظراته وأنصاع لها عن طيب خاطر ، أعرفه عندما يكون مسروراً .. وعندما ينتابه الضجر .. أشعر به عندما يعانى من الصداع فأعاجله بقرص

الأسبرين ، فيشكرني بنظرة ممتنة ، ثم يعقبها بقبلة على جبهتي .. قبلة واحدة تعني شكراً .. قبلتان : كل سنة وأنت طيبة يا حبيبتي .. ثلاث قبلات : سأظل أحبك إلى الأبد .

يقول شاكر إن الخرس لا يسبب له أي مشكلة ، بعد أن اعتاد مخاطبة الناس بالكتابة ، بل ويؤكد أن الخرس نعمة لأنه يعطية فسحة من الوقت . يفكر خلالها فيما يجب أن يقول أو لا يقول ، لذلك لم يحدث قط أن تراجع عن كلمة قالها .

حتى ابنتنا أميرة ، التي لم تبلغ الخامسة ، لا تجد أي صعوبة في فهمه . في البداية فقط كنت أتوسط بينهما لأشرح لها ما يقول ، ولكن رويداً رويداً لم تعد في حاجة إلى وساطتي ، حتى أن أجمل اللحظات عندها هي تلك التي تنفرد به ليحكي لها عن الثعلب والدجاج ، وهو لا يعدم وسيلة ليقص عليها ما تريد ، فعندما يشرع سبابتيه إلى جانبي رأسه على شكل أذنين فهو الثعلب ، وعندما يرفرف بذراعيه فهو الدجاج ، أما بقية الحكاية فتتكفل بها أصابعه وملامح وجهه المعبرة ، ولا بأس من أن يمشي أحياناً على أربع ، أو ينقض على دجاجة وهمية فوق أرض الغرفة .

منذ حوالي أسبوع كان يشكو من ألم في حلقه ، وقام بزيارة الطبيب ، وعندما عاد كان قلقاً على غير العادة ، فسألته إن كان الطبيب قد وجد عنده ما يقلق ، ولكنه هز رأسه نافياً ، ومع ذلك فقد ظل قلقاً طوال الأسبوع الماضي ، حتى أنه كان يغادر فراشه ليذرع الغرفة جيئة وذهاباً ، وحاولت أن أعرف فيما يفكر ، ولكنه لم يفصح لي عن شيء ، بل اكتفى بقوله أن مشكلة بسيطة تواجهه في العمل ، وأنها ستحل قريباً .

اليوم الأحد عيد ميلادى .. خرج شاكر متعجلاً هذا الصباح .. قال إنه على موعد هام ، وإنه قد يتأخر بعض الوقت ، وطلب أن أنتظر مفاجأة ساره عند عودته ، ولكنه لم يغب كثيراً ، وعندما عاد بادرنى بقبلتين دافئتين على جبهتي ، ثم ناولنى علبة صغيرة ملونة ، أدركت أنها هديتى ، وكنت واثقة من أنها ستكون جميلة ورقيقة مثله .

أميرة الشقية لم تمهلنى كى أرد له قبلتيه ، إذ لم يكد يقبلنى حتى جذبته من قميصه ، ثم رفرفت له بذراعيها ، فاستجاب لها بأن شرع سبابتيه إلى جانبى رأسه ، فما كان منها إلا ألقت بنفسها في أحضانه ، وأطبقت على شفتيه ، ثم غاباً معاً في قبلة طويلة .

الأسطى حمزه

دقت الساعة العاشرة مساء ، وخرج أخر زبون من المحل ، فألقى الأسطى حمزة بجسده المنهك على المقعد الوثير يترقب قدوم الصديقين ، بينما هرع الولد سعد لإحضار الشيشة من المقهى المجاور .

عاد الولد سعد بالشيشة ، فتلقفها الأسطى ، واسترخى في جلسته ، وأدخل المبسم بين شفتيه يشد الهواء الممتزج بالدخان ، ثم يعيد نفخه في لذة صوب السقف ، فتختلط رائحة الدخان برائحة العطور والمساحيق التي تسبح في جو المحل ، أما الولد سعد فقد إنشغل بجمع بقايا الشعر بالفرشاة والجاروف وإلقائها في سلة القمامة ، وهو يختلس النظر إلى الأسطى ، الذي كان يلاحقه بعينيه ، وهو يجمع الشعر بخبرة صبي حلاق متمرس .

وبعد أن امتلأت السلة بالشعر ، وأطمأن الولد سعد لنظافة المحل ، عاد يختلس النظر إلى الأسطى يستجدى المديح ، فلما خذله ، شرع ينظف الشفرات والأمشاط ويرتبها بعناية على الرف الكبير أمام المرآة . ويجمع المناشف وينفضها في خفة ليخلصها من بقايا الشعر . ثم يعود من جديد ليجمع ما تساقط منها على الأرض .

لم يتأخر الصديقان كثيراً عن موعدهما ، وأسرع الولد سعد ، دون أن ينتظر أمراً من الأسطى ، يحضر الشاى المنعنع للمعلم محمود الفكهانى . والشيشة للمعلم حسين الجزار . وكان هذا إيذاناً ببدء الثرثرة اليومية التى يبدأها الأسطى حمزة عادة بترديد آخر الأخبار التي سمعها من التليفزيون أو الزبائن . رويداً رويداً يتلاشى الحديث في السياسة لتبدأ النميمة . التى يحرص الأسطى على جمع مادتها من الزبائن أنفسهم ، فلان طلق زوجته . الولد فلان سقط في الإعدادية لأنه حمار مثل أبيه . وغالباً ما يقطع الأسطى

حمزة حديثه فجأة مهما كانت أهمية الحديث . لينظر إلى الولد سعد . الذي يكون مشغولاً عادة بعمل ما . ثم يزمجر في وجهه : « ألم تنته بعد يا بجم ؟ » .

والأسطى حمزة كمعظم الحلاقين يتمتع بالظرف وخفة الدم . وهو شديد الطيبة . رغم صياحه ووعيده المستمر للولد سعد . أما سمنته المفرطة وطبقات الدهن المتراكمة فوق جسده فهى أكثر من كافية كى تدخل في روع من يراه بأن ثمة مجاعة مقبلة لا ريب فيها .

ولكن أبرز ما يميز الأسطى حمزة . بخلاف السمنة وخفة الظل . سرعة بديهته . وردوده الحاضرة دائماً أمام كل من يجرؤ على مناوشته . والتى تتضمن في الغالب حكَماً بليغة مغلفة في قالب فكاهى . فعندما نصحه أحد الأصدقاء ذات مرة أن يقصر حديثه على السياسة . وأن يكف عن النميمة التي تفضى إلى جهنم . ضحك ثم قال : « السياسة والنميمة وجهان لعملة واحدة . ولهما نفس العاقبة أيضاً ».

ومع أن العاشرة مساء تعنى للأسطى حمزة نهاية العمل وبداية الثرثرة . إلا إنه اضطر في تلك الليلة أن يستجيب لذلك الزبون الأنيق . الذي استشف من مظهره أنه سينفحه بقشيشاً كبيراً . ولا بأس من الاستمرار في الثرثرة أثناء قص شعر الزبون الأنيق .

بدأ الأسطى حمزة ثرثرة الليلة باستعراض مهارته . وهو يشير إلى الزبون بالجلوس أمام المرآة :

ـ أنا أول من اخترع قص الشعر على طريقة الأسد . ولما لم يفهم أحد ما

يرمى إليه . . استطرد قائلاً :

- في الماضى كنت أقوم بقص شعر الأطفال على جانبى الرأس وأتركه غزيراً في الوسط . وكان الأطفال يحبون هذه الطريقة كثيراً ويسمونها قصة الأسد . وبعدذلك بعدة سنوات شاهدت مشاة البحرية الأمريكية في التليفزيون يقصون شعرهم بنفس الطريقة ،

ثم تتعالى ضحكاته وهو يقول : « يؤسفنى أننى تكاسلت في استخراج براءة اختراع . وإلا لكنت قد قاضيت الولايات المتحدة وأصبحت ميليونيراً» .

ضحك الصديقان ، بينما اكتفى الزبون الأنيق بالابتسام . واختلط صوت الأسطى حمزة بأزيز مجفف الشعر وهويقول : « قد يكون هذا هو السبب في أن أطفال الأمس كانوا أكثر شجاعة من رجال اليوم » .

وقال المعلم حسنين . وهو يشد نفساً عميقاً من الشيشة :

- حدثنا يا أسطى عن آخر أخبار الدنيا .

انتفش الأسطى حمزة ، وسحب المقص من رأس الزبون ثم طرقعه في الهواء بطريقة استعراضية ، وقال :

- آخر خبر . . نظام جديد يتيح لنا أن نطأ ربع الأرض بأطراف أصابعنا .

زادت ابتسامة الزبون الأنيق اتساعاً . وأنهى المعلم محمود آخر رشفاته المسموعه من كوب الشاى . ثم قال :

- أى نظام وأى أرض يا رجل ؟ أنت تحلم أم تخرف ؟

قال الأسطى حمزة بنبرة مستفزة ، وهو منهمك في قص شعر الزبون على جانبى الرأس :

- إنى أحلم بالأرض كاملة .

في تلك الليلة انصرف الزبون الأنيق في الحادية عشرة مساءً . بينما امتدت الثرثرة في محل الحلاقة إلى ما بعد منتصف الليل . حين انصرف الأسطى حمزة مبتهجاً . فقد صدق حدسه . ونفحه الزبون الأنيق بقشيشاً كبيراً كما نفح الولد سعد بقشيشاً أيضاً .

ولكن عندما أوشك النهار أن ينتصف في اليوم التالى . كان الضجر قد استبد بالولد سعد . بعد أن طال انتظاره أمام محل الحلاقة . عيناه تحدقان في محلى الفاكهة والجزارة المغلقين ، ويداه تتحسان ما تبقى في جيبه من بقشيش الأمس .

ملحوظة :

طبعت هذه المجموعة طبعة خاصة على نفقة المؤلف فى عام ٢٠٠٠

الفهـــرس

الفهـــرس

إصدارات

نفرو للنشر والتوزيع

اسم الكتاب	المؤلف
ونس	محمد الحسينى
عباد الضل	محمد الحسينى
صندوق الحزن	محمد الحسينى
غرفة السر (أعلام مجمع اللغة العربية)	محمد الحسينى
مس الكلام	محمد الحسينى
طفل الفجر (ترجمة ظبية خميس)	جوتاما شوبرا
لينا والبرتقال	سليمان نزال
صاحب القلنسوة	حياة الحضرى
دراما اللوحة	أ.د/ مصطفى يحيى
رائحة المطر	منى سعيد
روح الشاعرة	ظبية خميس
عبر الليل نحو النهار	محمد الراوى

اسم الكتاب	المؤلف
الفضيحة الإيطالية	محمد بركة
الأميرة ذات الهمة (٤ أجزاء)	عبد الله السيد
باب البحر	عبد الله السيد
العبد (ترجمة د. محسن عباس)	أميرى بركة
الملاح الطائر (ترجمة د. محسن عباس)	أميرى بركة
قراء القرآن ونوادرهم	حزين عمر
البريونى يتجه شرقاً	سعيد رفيع
حروف متشابكة	حياة الحضرى